الأدوية الشافية
لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

دار اللؤلؤة

الأدوية الشافية
لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة
في ضوء القرآن والسنة

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

الأَدْوِية الشَّافِية
لأمْراض الأُمة الظاهرة والباطنة

فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

للفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء: ٨٢].

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

المقدمة

وتشتمل هذه المقدمة على سبعة أدويةٍ شافية

تعالج سبعة أمراض خطيرة، في ضوء القرآن والسّنّة

الدواء الأول: تحقيق اليقين على شهادة أن لا إله إلا الله .

الثاني: تحقيق اليقين على شهادة أن محمدًا رسول الله .

الثالث: إقامة حقيقة الصلاة .

الرابع: طلب العلم الإلهي من أجل العمل به.

الخامس: إكرام الناس بالقول والفعل.

السادس: إخلاص النية لله في كل عمل.

السابع: الدعوة الى الله، والنفر في سبيل الله، لإبلاغ دين الله.

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء/ ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهُدَى هُدَى محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ مُحْدثَاتُها، وكلُّ مُحْدَثة بِدْعةٌ، وكلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وَكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

وتشتمل هذه المقدمة على سبعة أدويةٍ عظيمةٍ، تعالج سبعة أمراض خطيرة، في ضوء القرآن والسّنّة، ومن سنة الله ﷻ التي لا تتبدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد: ١١]

فواجبنا تغيير الأعمال، والله بقدرته يغير الأحوال، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن

﴿كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف: ٩٦].

وبعد تغيير الأعمال من الخلق، يأتي فورًا تغيير الأحوال من الرب، واحدة بواحدة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[الأنفال: ٥٣].

وما من داءٍ إلا وله دواء، علِمَه من علمه، وجَهِله من جهله، والأدوية الشافية الكافية هي ما كانت في ضوء القرآن والسنة فقط: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

وكان الناس في الجاهلية في ضلال مبين، وشرٍّ مستطير، وعماية وغواية، وكفر وشرك، وخوف وفقر، وفساد وطغيان، وظلم وعدوان، وفسوق وعصيان، حيث كانوا يعبدون الأصنام من دون الله، ويتقربون لها بأنواع القرابين، ويشربون الخمر، ويأكلون الميتة، ويذبحون لغير الله، ويأتون الفواحش، ويقطعون الأرحام، ويسيئون الجوار، ويسفكون الدماء، ويقتلون أولادهم خشية إملاق، ويأكل القوي منهم الضعيف، وكانت حياتهم تقوم على أعظم أنواع الجاهلية وهي:

ظنُّ الجاهلية .. وحكم الجاهلية .. وحمية الجاهلية .. وتبرّج الجاهلية .

ثم بعث الله رسوله محمدًا ﷺ إلى هذه الأمة الضالّة، فدعاهم إلى الإيمان بالله وحده، والكفر بكل ما سواه، وأمرهم بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه، ودعاهم إلى أعظم مكارم الأخلاق، فآمنوا به وصدّقوه، واتبعوه ونصروه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

فبلّغ النبي ﷺ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ولحق بالرفيق الأعلى، فنقل الله ﷻ برحمته تلك الأمة الضالّة بعد البعثة من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم والعدوان إلى العدل والإحسان، ومن شرِّ أمة إلى خير أمة، ومن شرِّ القرون إلى خير القرون، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران: ١٦٤].

وشرف الله هذه الأمة بعمل الأنبياء كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وقام النبي ﷺ وأصحابه بالدين، وجهد الدين، خير قيام، وبذلوا أموالهم وأنفسهم وأوقاتهم في سبيل نشر هذا الدين، فرضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠].

وقد أكرم الله ﷻ هذه الأمة بوظيفة الأنبياء والرسل، وهي الدعوة إلى الله إلى قيام الساعة، وربط فلاحهم وفوزهم بالقيام بهذه الوظيفة العظيمة، كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤]

فقام الصحابة رضي الله عنهم بذلك خير قيام، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وجزاهم على ذلك بأحسن الجزاء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ

عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة: ٧-٨].

ولما أكمل الله لهذه الأمة هذا الدين، قبض رسوله ﷺ إليه، بعد أن بلّغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[المائدة: ٣].

ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ولحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾[النصر: ١-٣].

ثم سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من بعده على طريقته حيث قاموا بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وفتحوا البلاد، وفتحوا القلوب قبل البلاد، وفتحوا بلاد العراق، والشام، ومصر، وغيرها .

فاتسعت رقعة الإسلام، ونَعِم الناس بالأمن في أصقاع الأرض، واستمرت الفتوحات الإسلامية إلى أن بلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، في مشارق الأرض ومغاربها، فلله الحمد والمنّة على كمال العطاء والنعمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة: ٣٣].

ولما اتسعت رقعة الإسلام، وانتشر الإسلام في البلدان، ورُفعت راية الإسلام في كل مكان، غاظ ذلك أعداء هذا الدين من اليهود والنصارى، وسائر الكفار والمشركين، فصاروا يكيدون لأهله، ومزقوا وحدتهم، وفرقوهم إلى دويلات متناحرة، وأحزاب متفرقة، ومذاهب مختلفة، ثم

قاتلوهم، واستباحوا ديارهم، ونهبوا خيراتهم، وأفسدوا أخلاقهم، وغيّروا دينهم، وضربوا بعضهم ببعض، وأشعلوا بينهم الفتن التي أكلت الأخضر واليابس، كما قال الله عنهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة: ٢١٧].

وأشغلَ أعداء هذا الدين المسلمين بالأموال والأسباب، ليزهدوا في الإيمان والأعمال، ويقيموا الدنيا، ويزهدوا في الآخرة، وعمَّ هذا الوباء عامة أقطار الإسلام، فعاش المسلمون في الذلة بعد العزة، وفي الخوف بعد الأمن، وفي الفقر بعد الغنى، وفي الانحراف بعد الاستقامة، وسبب ذلك أن الأمة مزقها الأعداء، وتركت الدين، وجهد الدين، ولم يبق لها من الدين إلا صورة الدين، فسقطت من عين الله، لأنه هان عليها أمر الله، فصارت فريسة سهلة لأعداء هذا الدين، كما قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[النحل: ١١٢].

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وإصلاح أولها بالاستقامة على الدين، والقيام بجهد الدين، على حد سواء، بالدعوة إلى الله إلى يوم القيامة، وعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج: ٤٠-٤١].

وبسبب هذا البلاء العظيم، والبعد عن عصر النبوة، وغلبة الجهل على كثير من الأمة، وضعف اليقين على الإيمان والأعمال الصالحة، وقوة اليقين على الأموال والأسباب المادية، وتعطيل أمر الدعوة إلى الله، واشتغال الناس بالدنيا عن الدين، نشأ عن ذلك انحرافٌ كبير في الاعتقاد، والأعمال، والأخلاق، وظهرت في الأمة أمراض مختلفة أقعدتها عن العمل بالدين، وعن القيام بجهد الدين.

ومن تلك الأمراض العظيمة:

الأول: ضعف اليقين على شهادة أن " لا إله إلا الله".

الثاني: ضعف اليقين على شهادة أن " محمدًا رسول الله".

الثالث: إقامة صورة الصلاة لا حقيقة الصلاة.

الرابع: إقامة صورة شعائر الدين، لا حقيقة شعائر الدين.

الخامس: حصول التقصير في جميع أعمال الدين، بسبب: ضعف الإيمان، والجهل بأحكام الإسلام، وضعف الإيمان باليوم الآخر، والتقصير في أداء الحقوق لكل إنسان، مما نشأ عنه: الظلم والجفاء، والتقاطع والتدابر، وفرقة الأمة .

السادس: قلة الإخلاص في الأعمال مما نشأ عنه: الرياء والعجب، وحب الشُهرة، وحبوط الأعمال .

السابع: ضعف الدعوة إلى الله، مما نشأ عنه: بقاء العاصي على معاصيه، وبقاء المشرك على شركه، وانتشار البدع مكان السنن، وفشو المنكرات والفواحش في الأمة .

وهذه الأمراض العظيمة التي ظهرت في الأمة في كل مكان، لابد لها من علاج يستأصل جذورها، ويقطع عروقها، ويمحو آثارها، ويعيد الأمة إلى ما كانت عليه في عهد النبي ﷺ وأصحابه، رضي الله عنهم .

وهذه الأدوية السبعة الشافية هي:

الأول: تحقيق اليقين على شهادة أن لا إله إلا الله ..

الثاني: تحقيق اليقين على شهادة أن محمدًا رسول الله .

الثالث: إقامة حقيقة الصلاة .

الرابع: طلب العلم الإلهي من أجل العمل به.

الخامس: إكرام الناس بالقول والفعل.

السادس: إخلاص النية لله في كل عمل.

السابع: الدعوة الى الله، والنفر في سبيل الله، لإبلاغ دين الله .

فاليقين على شهادة أن" لا إله إلا الله"، لعلاج مرض الشرك بأنواعه، كالشرك في الربوبية، والشرك في الألوهية، والشرك في المحبة، والشرك في الطاعة، والشرك في الخوف والرجاء، والشرك في التوكل والاستعانة: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

واليقين على شهادة أن "محمدًا رسول الله"، لعلاج مرض الابتداع في الدين، ومرض اتباع اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، واتباع سنة النبي ﷺ فقط :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

وإقامة حقيقة الصلاة بحضور قلب، لعلاج مرض الغفلة عن الله، وعن أوامره، فإذا استقام القلب داخل الصلاة، استقام على أوامر الله خارج الصلاة، والمسلم عبدالله داخل الصلاة، وخارج الصلاة: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

أما طلب العلم الإلهي وتعليمه، فهو لإزالة مرض الجهل بأحكام الله عن

الأمة، ولمعرفة الحلال من الحرام، وتصحيح العبادات، وتقوية الإيمان بالله ﷻ كما أمرنا ﷻ بذلك بقوله : ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران: ٧٩].

والذكر، لعلاج مرض الغفلة عن الله، وعن أوامره، لأن العلم الإلهي طريق العبودية، والذكر نور الطريق، فذكر الله ينير القلب، فيُفهم العلم الإلهي، ثم يعمل بموجبه العبودية ابتغاء مرضاة الله، وذلك يورث خشية الله ﷻ، وعبادة الله ﷻ على هدى وبصيرة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

فنتعلم العلم الإلهي، لنرفع الجهل عن أنفسنا، وعن الأمة، ونعمل بموجب ذلك، لتكون أعمالنا مقبولة عند الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠] .

أما صفة مكارم الأخلاق؛ وإكرام الناس وتقديرهم، والاحتفاء بهم، ورحمتهم والأخذ بأيديهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل، فهو لعلاج الأمراض التي أفسدت العلاقات بين أفراد الأمة، من العصبية الجاهلية، والحمية للجنس، واللغة، والقوم، والبلد، مما نتج عنه الفرقة والاختلاف، والغيبة والنميمة، وسوء الظن، وحبوط الأعمال، والحسد والبغضاء، والظلم والعدوان، والسخرية، والاستهزاء، واحتقار الكافر لكفره، وهجر العاصي لمعصيته، وقطع العلاقة مع المبتدع لبدعته، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ

أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١١ -١٢].

فمكارم الأخلاق تزيل الأحقاد فيما بين المسلمين، وتثمر الألفة والمحبة، والمودة والأخوّة، فيما بينهم وتهيئتهم للقيام بالأعمال الصالحة التي ينالون بها رحمة الله لهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وتثمر مكارم الأخلاق التعاون على البر والتقوى، كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

أما صفة الإخلاص، فهي لعلاج مرض الرياء والسمعة، ومرض العجب، والكبر، والنفاق: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

أما الدعوة الى الله، والنفر في سبيل نشر الحق في العالم، فذلك لعلاج مرض القعود عن نشر الدين في الأرض، وعلاج مرض حب الدنيا، والتعلق بالشهوات، وكراهية الموت، وعلاج مرض الغفلة عن أداء الأمانة التي شرف الله بها هذه الأمة، وعلّق فلاحها وسعادتها في الدنيا والآخرة بالقيام بها، كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فإذا اشتغل كل مسلم ومسلمة بهذه الأمور العظيمة، وبذل نفسه وماله ووقته في سبيل إعلاء كلمة الله، وتَركَ ما يحب من أجل ما يحبه الله ويرضاه، وتَركَ كل ما لا يعنيه، نفع نفسه، ونفع غيره، وحقق مراد الله منه

بالاستقامة على أوامر الله، وحقق مراد الله من الناس بدعوتهم إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات: ١٥].

وبذلك يفوز المؤمن، وينجو من الخسارة كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر: ١-٣].

فهذه الصفات السبع العظيمة إذا قمنا بها، تُعالج أمراض الأمة التي أصابتها، وتُثمر الفوز والفلاح والسعادة للناس في الدنيا والآخرة، وتزيل ظلام الكفر والشرك والنفاق، وتطمس آثار البدع والغفلة والمعاصي، وتقوى الإيمان والتوحيد في القلب، وتزين الجوارح بالأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

وإذا جاءت في الأمة هذه الصفات العلمية، والعملية، والأخلاقية، جاءت بعدها ومعها بقية الصفات الإيمانية التي ذكرها الله في كتابه بقوله عن صفات المؤمنين الذين اشتراهم، كما قال سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة: ١١٢].

وبحسب الصفات الإيمانية تكون للمسلمين العزة والنصرة، والحفاظة والمغفرة، وحسن المثوبة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

فهذه الصفات السبع هي الأصول، وبقية الصفات الإيمانية فرعٌ عليها، وثمرةٌ لها، وإذا قامت الأصول؛ قامت عليها الفروع، ثم ظهرت الثمار والأزهار والورود، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

والأدلة على هذه الصفات السبع العظيمة من كتاب الله ﷻ كثيرة، منها قوله سبحانه في اليقين على "لا إله إلا الله" :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

وقوله سبحانه في اليقين على "محمد رسول الله" :﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨]

وقوله سبحانه عن الصلاة:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

وقوله ﷻ في طلب العلم وتعليمه، والعمل به، ابتغاء مرضات الله:﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران: ٧٩].

وقوله ﷻ في الذكر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٢]

وقوله سبحانه في الأخلاق الكريمة: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقوله سبحانه في الإخلاص في الأعمال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥].

وقوله سبحانه في الدعوة الى الله: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف: ١٠٨].

وقوله سبحانه في النفر في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، ونشر الحق في العالم: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾[التوبة: ٤١].

وغير ذلك من الأدلة في القرآن والسنة .

وما من داء إلا وله دواء، وبالدواء يكون الشفاء بإذن الله ﷻ.

ف" لا إله إلا الله" لتحقيق العبودية لله ﷻ كما يريد، و"محمد رسول الله" طريق العبودية إلى الله، والصلاة أعظم مظاهر العبودية لله ﷻ، والعلم الإلهي لتصحيح العبودية لله ﷻ، والذكر لله ﷻ هو روح العبودية ، وحسن الخُلُق مع الخَلق لحفاظة العبودية .

قال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» **قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ**: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ

طُرِحَ فِي النَّار»أخرجه مسلم[1].

أما إخلاص الأعمال لله ﷻ فهو لقبول العبودية، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر: ٣]

والدعوة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها، لنشر العبودية في العالم: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

فإذا عرف المؤمن حقيقة "لا إله إلا الله" امتلأ قلبه بحب الله وعظمته، وذاق حلاوة الإيمان، ووصل إلى حقيقة الإيمان، واستأنس بربه، واشتاقت نفسه إلى تنفيذ مقتضيات الإيمان بالله في حياته كلها، فتطلعت نفسه إلى معرفة طريق العبودية لله ﷻ، وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، الذين ساروا إلى ربهم على صراطٍ مستقيم، الموصل إلى رضوان الله والجنة، واشتاقت نفسه إلى الاقتداء بأفضل الرسل محمد ﷺ، فسارع هذا المؤمن إلى اتباع الرسول ﷺ في كل ما جاء به عن ربه ﷻ، فاتّبعه في توحيده وإيمانه، وفي نيته وفكره، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة، كما أمره ربه بقوله: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

واقتدى بهذا الرسول الرؤوف الرحيم في جميع أحواله:

في عباداته، ومعاملاته، ومعاشراته وأخلاقه، ودعوته، لأنه ﷺ أسوة لجميع البشرية إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١).

وبعد أن أدرك المؤمن حقيقة "لا إله إلا الله"، وأيقن على طريقة "محمد رسول الله"، لا ريب أن نفسه سوف تشتاق إلى الوقوف بين يدي الله جل جلاله، ليؤدي الصلاة التي تصله بربه، ويقضي الله بها حوائجه، فيقف بين يدي ربه بخشوعٍ وخضوعٍ، وذلٍ وافتقارٍ، وحبٍ وتعظيم، فيكبر ربه ويحمده، ويسأله ويستغفره.

ثم يقدم له التحيات العظيمة على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والتي من أعظمها هذه الصلاة التي تصل بين العبد وربه.

ثم يصلي ويسلم على من كان سببًا في حصول هذا اللقاء العظيم بين المؤمن وربه في كل يوم خمس مرات.

ثم في النهاية قبل السلام يعلن أعظم شهادة بقوله "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، كما نقول في التشهد في الصلاة:(التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّباتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أيها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». متفق عليه[1].

وبإقامة حقيقة الصلاة ظاهرًا وباطنًا، يحصل للعبد أعظم الفلاح، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ١-٣].

فإذا وجد المؤمن أُنسَه بربه في الصلاة، وتلذذ بمناجاته، تطلّعت نفسه لمعرفة كل ما يحبه الله ويرضاه من أحكام الشريعة، ليتقرب بها إلى ربه، فيتعلم الدين الكامل ابتغاء مرضاة الله، ليعمل بموجبه، مستعينًا بذكر الله ﷻ، فمن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وخافه ورجاه وحده لا شريك له، وبذلك يقوى إيمانه، وتحسن أعماله في جميع أحواله، ويسارع إلى أداء

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣١)، ومسلم برقم (٤٠٢).

كل ما أمر الله ورسوله به، ويجتنب كل ما نهى الله ورسوله عنه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان، وأيقن على وجوب اتباع النبي ﷺ في كل ما جاء به، وأقام الصلاة على وجهها الشرعي، تطلّع بعد ذلك إلى الاستكثار من أنواع العبادات والطاعات، وعزم على تعلّم ما لا يعلمه من أحكام الدين، وتعليم ما يعلمه من أمور الدين، تحقيقًا لقوله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران: ٧٩].

وبذلك يدرك المسلم أنه خليفة الله في الأرض، ويعلم أنه نائب النبي ﷺ في أمته، ويدرك عظمة الأمانة التي تحمّلها، وهي إبلاغ هذا الدين العظيم لكافة أهل الأرض كما قال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم: ٥٢].

وكلما تعلّم المؤمن أكثر، عرف عظمة مسؤوليته، وأدرك أنه ليس الوحيد في حمل هذه الأمانة العظيمة، بل يشاركه فيها كل مسلم ومسلمة، مهما ساءت أحواله، ومهما انحط مستواه الديني والاجتماعي، لأن المؤمنين إخوة، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، فعليه العناية بأخيه الذي زلّت به القدم، والأخذ بيده إلى معالي الأمور، وإكرامه حتى تصلح حاله، ثم يشاركه في حمل هذه الأمانة، وإبلاغ دين الله إلى كل أحد، ليكون الدين كله لله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة: ٧١].

وبذلك تتحقق الأخوة والمحبة والألفة بين المؤمنين، ويتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى، ونشر الحق في العالم، كما أمرهم ربهم بقوله:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

ولتكون جميع أعمال المؤمن مقبولةً عند الله ﷻ؛ لابد أن تكون خالصةً لله ﷻ، موافقةً لما جاء به الرسول ﷺ، لأن الله يقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥].

ويقول ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «من أَحْدثَ في أَمْرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ ».متفق عليه[1].

فليتفقد المؤمن نيته في كل عمل، ليكون عمله خالصاً لله ﷻ، ويتفقد المؤمن أعماله، لتكون موافقةً لما جاء به النبي ﷺ:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى: أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيْهِ مَعِي غَيْري تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». أخرجه مسلم[2].

فمن أخلص جميع أعماله لله ﷻ، وجاء بها كما فعلها رسول الله ﷺ، فاز برضوان الله، ودخول الجنة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ

---

(1)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٧١٨).

(2)أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢-٤].

وإذا خلُص القلب من المطامع الدنيوية، هان عليه ما هان على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، واستطاع أن يؤدي جميع الحقوق والواجبات التي أمر الله ورسوله بها، والتي يحصل بسببها المؤمن على الأجور العظيمة من ربه، سواء كانت فيما بين العبد وربه بأنواع العبادات، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الحج: ٧٧].

أو كانت فيما بين العبد وبين الخلق، بحسن المعاملات والمعاشرات والأخلاق، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ولما كان الغريق لا بد له من عمليتين:

الأولى: إخراجه من الماء، والثانية: إخراج الماء منه.

كان لابد من عمليتين لإنقاذ غرقى الكفر والشرك، وغرقى الجهل والبدع، وغرقى الظلم والفسوق، وغرقى المنكرات والمعاصي، وذلك بإخراجهم من بيئة الكفر إلى بيئة الإيمان، ومن بيئة الشرك إلى بيئة التوحيد، ومن بيئة الجهل إلى بيئة العلم، ومن بيئة البدع إلى بيئة السنن، ومن بيئة الظلم والفسوق إلى بيئة العدل والإحسان، ومن بيئة المنكرات والمعاصي إلى بيئة الإيمان والطاعات والأعمال الصالحة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ

وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم:١].

ولا يتم ذلك إلا بحسن الخلق، والرفق والصبر، والإكرام والإحسان: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٩] .

ولتحصيل الهداية لابد أن نلزم بيئة الإيمان والأعمال الصالحة، وللثبات على الهداية لابد أن ننقطع عن جو الغفلة والمعاصي والمنكرات، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف: ٢٨].

والمؤمن إذا عرف حقيقة "لا إله إلا الله"، وأيقن على وجوب اتباع رسول الله ﷺ، وعرف حقيقة الصلاة التي يستفيد بها من خزائن الله، وتعلم العلم الإلهي ليعبد ربه على بصيرة، وأيقن بوجوب أداء الحقوق والواجبات لكل إنسان لتحصُل المحبة والألفة بين المسلمين، ويحفظ أعماله أن يأخذها أحد، وعَلِم أن كل أعماله مكتوبة له إذا أخلصها لله ﷻ، وعرف أنه نائب النبي ﷺ في أمته، فحين ذاك؛ يبذل نفسه وماله ووقته في سبيل إعلاء كلمة الله، ونشر دين الله في الأرض، ليبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، كما فعل النبي ﷺ وأصحابه، وبذلك يحصل على الفوز والفلاح، وينجو من العذاب والعقاب، كما قال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ - ١٠٥]

وقد شرّف الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالدعوة إلى الله، وعبادة الله ﷻ، وأعطى هذا الشرف لهذه الأمة إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠]

والدعوة إلى الله هي أفضل الأعمال بعد الإيمان، وأول عمل قام به النبي ﷺ وأصحابه في مكة قبل أن تُفرض الصلاة والزكاة، والصوم والحج، وقد زكى الله ﷻ عمل الداعي إلى الله، لما يثمره من دخول الناس في دين الله أفواجًا، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].

والدعوة إلى الله عمل عظيم النفع، كثير الأجر، شاقٌ على النفس، لأنه يتطلب النفر في سبيل الله، وترك الأوطان من أجل إبلاغ دين الله، والصبر على تحمل مشاق الدعوة إلى يوم القيامة، وقد شرّف الله كل فرد من هذه الأمة من الرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، والسادة والعبيد، بالدعوة إلى الله، فقال: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[التوبة: ٤١].

وحذر سبحانه هذه الأمة من ترك الدعوة إلى الله، بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة:٣٨-٣٩].

فعلينا جميعاً رجالاً ونساء أن نؤدي أمانة الدعوة إلى الله، وإبلاغ دين الله في مشارق الأرض ومغاربها، حتى يكون الدين كله لله، وتتحقق العبودية لله وحده لا شريك له في أنحاء الأرض: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

ومقصود الدعوة إلى الله: إحياء الدين كله، في العالم كله، إلى يوم القيامة، حتى يدخل الناس في دين الله أفواجًا، وحتى تصل الأمة الإسلامية إلى المستوى الذي ترك عليه النبي ﷺ أصحابه عند وفاته، والذين قال الله عنهم: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[آل عمران: ١١٠]

وبالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يزداد المؤمن هداية، ويهتدي الكفار إلى الإسلام، ويتوب العاصي إلى الله، ويهتدي من خرج عن الصراط المستقيم إلى الحق، لهذا شرّف الله كل مسلم ومسلمة بالدعوة إلى الله في كل زمان ومكان، فقال ﷻ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والدعوة في الأصل للداعي تركيزًا، ولغيره تذكيرًا: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

فعلى جميع هذه الأمة واجبان عظيمان:

الأول: الاستقامة على الدين: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

والواجب الثاني إقامة الدين في العالم، كما أخبر الله عن أعظم صفات هذه الأمة بقوله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

ولإحياء الدين كله، في العالم كله، على طريقة الرسول ﷺ، لابد من النفر والخروج في سبيل الله، كما فعل المهاجرون والأنصار الذين خرجوا بأنفسهم وأموالهم وأوقاتهم، وبذلوا كل شيء من أجل الدين، وتركوا كل شيء من أجل الدين، حتى يكون الدين كله لله في الأرض، كما فعل المهاجرون والأنصار؛ فالمهاجرون تركوا، والأنصار بذلوا، فانتشر الدين في العالم، ورضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠].

وقد بيّن الله حقيقة الإيمان الذي يريده من الناس بقوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات: ١٤-١٥].

وإذا قامت الأمة كلها بالدعوة إلى الله، فتحت أبواب الهداية، وفتحت أبواب المداخل، فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وظهرت الصفات الإيمانية في الأمة، وتحقق مراد الله من خلقه، كما قال سبحانه في وصف المؤمنين الذين اشتراهم، بقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة: ١١٢].

وإذا تركت الأمة الدعوة إلى الله أغلقت أبواب الهداية، وفتحت أبواب

الخروج من الدين، فرأيت في المسلمين من لا يصلي، ولا يزكي، ولا يصوم، ومن يظلم ويفسق، ومن يفعل الفواحش والمنكرات، ومن يأكل الربا، ويشرب الخمر، ويسرق الأموال، ويقتل الأنفس، وهذا كله حاصل الآن في أمة الإسلام : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة: ٨٥].

وستزداد الأمة اضطرابًا وخوفاً، وذلةً وبلاءً، حتى ترجع إلى الدين، وجهد الدين، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها بعبادة الله وحده، والدعوة إلى الله في كل مكان وزمان: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥] .

فسعادة الأمة فقط بالدين، وجهد الدين، وشقاؤها بترك الدين، وترك جهد الدين كما قال سبحانه : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

وقد وعد الله المؤمنين بالنصر على كل من خالفهم وعاداهم وحاربهم، بقوله:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج: ٤٠-٤١].

والحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فلا زال كثير من الدعاة إلى الله يعالجون أمراض الأمة بهذه الأدوية الشافية، فحقق الله

على أيديهم خيرًا كثيرًا، ورجع كثير من المسلمين إلى الدين الحق، وقاموا بجهد الدين، وأقاموا شعائر الدين في حياتهم، وامتلأت المساجد بالمصلين، ودخل كثير من الكفار في الإسلام على أيديهم: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

قال النبي ﷺ: « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك »متفق عليه [1].

اللهم اجعلنا وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات منهم يا رب العالمين.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، يا رب العالمين.

اللهم اهدنا واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى، يا رب العالمين .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات: ١٨٠ – ١٨٢] .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري

المملكة العربية السعودية – بريدة – جوال:(٠٥٠٨٠١٣٢٢٢)

(٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام)slam.com/indexali-hatha

البريد الإلكتروني :Mb_twj@hotmail.com

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

الدواء الأول

تحقيق اليقين على شهادة أن لا إله إلا الله

ويشتمل هذا الدواء العظيم على المباحث الآتية:

الدواء الأول: بيان عظمة كلمة التوحيد" لا إله إلا الله" .

الثاني: حقيقة اليقين على لا إله إلا الله .

الثالث: حقيقة المخلوق .

الرابع: كيف تستقر حقيقة "لا إله إلا الله" في القلب .

الخامس: أركان العبودية لله ﷻ

الدواء الأول

تحقيق اليقين على شهادة أن لا إله إلا الله

١- بيان عظمة كلمة التوحيد لا إله إلا الله

هذا الدواء أعظم الأدوية، وأولها وأوجبها، وأزكاها وأصلها، وروحها وأساسها: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

"لا إله إلا الله" هي روح التوحيد والإيمان، وأول أركان الإسلام والإيمان، وعليها تبنى جميع الأقوال والأعمال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

"لا إله إلا الله" هي روح العبودية؛ ومقتضاها نفيُ فعل جميع المخلوقات بنفسها، وإثبات الفعل لله وحده لا شريك له، لأن الفاعل هو الله وحده، وكل ما سواه مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، وإنما الخالق هو الله وحده: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر: ٦٢].

فكل ما سوى الله لا يخلق، لأنه مخلوق، وكل ما سوى الله لا يفعل بنفسه، لأنه مفعول: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

والعلم ب"لا إله إلا الله" بحرٌ لا ساحل له، له بداية وليس له نهاية، وبحسب العلم به تكون قوة العبودية لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

و"لا إله إلا الله" هي كلمة التوحيد العظيمة؛ التي لو وضعت السموات والأرض وما فيهن في كفة، و"لا إله إلا الله" في كفة لمالت بهن "لا إله إلا الله".

ومن قوتها أن السماوات والأرض لو كانتا حلقة مفرغة لفصمتهن "لا إله إلا الله".

ومن أجل "لا إله إلا الله" خلق الله السماوات والأرض، وخلق جميع المخلوقات، وأنزل الدين والشرع، وأرسل الرسل، وخلق الجنة والنار، وبيّن الوعد والوعيد، وشرع الثواب والعقاب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[إبراهيم: ٢٤-٢٥].

فلا إله إلا الله هي الكلمة الطيبة، وكلمة التوحيد، وهي العروة الوثقى، وهي أصل الاستقامة، وكلمة الحق، وكلمة العدل، وكلمة التقوى، وكلمة السواء، والكلمة الباقية، والكلمة العليا، والكلمة السديدة، وكلمة النجاة، وهي العروة الوثقى، وهي حبل النجاة، وهي حبل الله المتين، وهي مفتاح كل شيء: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

٢- حقيقة اليقين على "لا إله إلا الله"

حقيقة "لا إله إلا الله" أن نتيقن أن الله وحده بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

وحقيقه "لا إله إلا الله" التوجه إلى الله في كل حال، فمن عرف الله حقًا تعلّق به وحده، وسأله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

و"لا إله إلا الله" مقتضاها تغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الأموال والأسباب إلى الإيمان والأعمال الصالحة، ومن السنن الكونية إلى القدرة الإلهية، وكلما أكثرنا من ذكر الله، وقول "لا إله إلا الله" ، تأتي عظمة الله في قلوبنا، وإذا عظّمنا الله عظّمنا أوامره، وعظّمنا وعده ووعيده، وأطعناه ولم نعصه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وكلما أكثرْنا من ذكر الأموال والأشياء تأتي عظمتها في قلوبنا، وتعلّقت بها قلوبنا من دون الله، فصرفنا لها أكثر الأوقات، وأشغلتنا عن عبادة الله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

وإثبات حقيقة "لا إله إلا الله" في القلب لابد له من النفي والإثبات، والنفي يكون قبل الإثبات، لأن التخلية قبل التحلية، والتسبيح قبل التقديس، والتصغير قبل التكبير، والانفصال قبل الاتصال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فكل ما سوى الله من المخلوقات ليس بيده شيء، لأن المخلوق لا يخلق المخلوق، بل الله وحده هو الذي خلق كل مخلوق، وخلق صفاته، وخلق

آثاره، ولو كان المخلوق يخلق لكان شريكًا لله في الخلق، والله واحد لا شريك له في الخلق والأمر، ولا شريك له في العطاء والمنع، ولا شريك له في النفع والضر، ولا شريك له في العبادة : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ ﴾[الزمر: ٢ – ٣].

بيد الله وحده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والحياة والموت، والعزة والذلة، والأمن والخوف، والغنى والفقر: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله جل جلاله أظهر المخلوقات، واخفى أمره فيها، فظن الإنسان أن المخلوق يفعل بنفسه من دون أمر الله، وهذا كله خداع وابتلاء، فالفعّال هو الله وحده، وجميع المخلوقات مفعول لا يفعل بنفسه، وإنما الذي يفعل أمر الله فيه، فإذا خلا منه أمر الله تعطل عن العمل كالحي والميت .

ومقتضى "لا إله إلا الله" أن يحب المسلم ما يحب الله ويفعله، ويبغض ما يبغض الله ويتركه، وأن نأمر بما أمر الله به، وننهى عما نهى الله عنه، ولا نرجوا إلا الله، ولا نخاف إلا الله، ولا نسأل إلا الله، ونخلع جميع الأنداد التي تُعبَد من دون الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢]

فكل شيء خزائنه عند الله وحده، والمخلوقات ستارةٌ وممرٌ لعطاء الله جل جلاله؛ فالثمار ليست من الأشجار، الثمار من خزائن الله أخرجها الله

بواسطة الشجرة، لأن الشجرة مخلوقة لا تخلق، الخالق هو الله وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢]

والشفاء ليس من الدواء، الشفاء من خزائن الله، أخرجه الله بواسطة الدواء، والكلام ليس من اللسان، الكلام من خزائن الله، أخرجه الله بواسطة اللسان، والحبوب ليست من الزرع، الحبوب من خزائن الله، اخرجها الله بواسطة الزرع، لأن الله يخلق من عدم، وكذا يخلق مخلوقاً من مخلوق كما يخلق الثمر من الشجر... وهكذا كل شيء خزائنه عند الله وحده، والمخلوق صورةٌ ومعبرٌ لخروجه من خزائن الله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

ومقصود تحقيق الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" في القلب، إخراج اليقين الباطل والفاسد والكاذب على الأموال، والأسباب، والأشياء، وإدخال اليقين الحق والصحيح، والصادق في القلب على الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

واليقين هو تصديق الخبر، وتكذيب النظر، وتصديق الغيبيات، وتكذيب المشاهدات

ويتم ذلك بتغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق، ومن الأموال والأشياء إلى اليقين على الإيمان والأعمال الصالحة، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن السنن الكونية إلى رؤية القدرة الإلهية، فالله بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وعلامة وجود "لا إله إلا الله" في القلب، توجه القلب إلى الله في كل حال، لأن فيه اليقين الصحيح على أن الله وحده بيده الخلق والأمر وحده، وبيده النفع والضر وحده، وبيده العطاء والمنع وحده، فيتوجه إليه في قضاء الحوائج الدينية والدنيوية، عن طريق الايمان والاعمال الصالحة، وذلك بفعل أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وعلامة فقدِ "لا إله إلا الله" في القلب توجه القلب الى غير الله في كل حال، لأن فيه اليقين بأن الأموال والأسباب، والأشياء والمخلوقات، بيدها جلب النفع، ودفع الضر، فَتَوَجَّه إليها من دون الله باستعانةٍ أو استغاثةٍ، أو رجاءٍ أو خوفٍ، أو دعاءٍ أو توسلٍ، أو محبةٍ أو توكلٍ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤]

ومن رحمة الله بعباده أنه كلما تعلّق شخص بأحد من دون الله أذاقه الله مرارة ذلك التعلق، وعذبه به، وسلّطه عليه، ليعلم أن الله يغار على قلبٍ تعلق بغيره، فيصده عنه، ليَردُّه إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

والهداية أعظم شيء في خزائن الله، وهي بيد الله وحده، ولم يجعلها بيد أحدٍ من خلقه، لا مَلَكٌ مقرّب، ولا نبيٌ مرسل، ولو كانت بيد أحد من الخلق لأعطاها نوح ﷺ لابنه، ولأعطاها إبراهيم ﷺ لأبيه، ولأعطاها محمدٌ ﷺ

لعمه أبي طالب﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: ٥٦].

حقيقة اليقين على "لا إله إلا الله" أن يتيقن المؤمن أن جميع النعم والخيرات والبركات من الله وحده، تبدأ في الدنيا، وتبلغ كمالها للمؤمنين في الجنة يوم القيامة، وكل الأسباب والأموال التي أعطاها الله للكفار حُلمٌ واستدراجٌ، وإمهال وابتلاء، لعلهم يتوبون إلى ربهم:﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال ﷻ:﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١].

وكل الأموال والأسباب التي أعطاها الله للمؤمنين؛ إنعامٌ، وإحسانٌ، وابتلاءٌ وامتحانٌ، وخدعةٌ وسرابٌ:﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فكمال الاجور والنعم ليس في الدنيا، بل في الجنة يوم القيامة:﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وكمال العقوبات والعذاب يوم القيامة كما قال الله عن الكفار :﴿ لَهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾ [الرعد: ٣٤].

وخزائن كل شيء عند الله وحده:

خزائن النعم والنقم عند الله وحده، وخزائن النعيم والعذاب عند الله وحده، وجميع نِعَم الدنيا لا تساوي نقطة من بحر نعيم رجلٍ واحدٍ من أهل الجنة، ونعيم أهل الدنيا كله، ونعيم أهل الجنة كله لا يساوي نقطة من بحر خزائن نعم الله الغيبية :﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ

عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨] .

وجميع عذاب أهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر عذاب رجل واحد من أهل النار، وعذاب أهل النار كله لا يساوي قطرة من بحر العذاب عند الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

والله سبحانه خالق جميع الأشياء والمخلوقات، كالسموات والأرض، والبحار والجبال، والجماد والنبات، والبشر والحيوان وهو كذلك خالق جميع الأحوال، خلق الليل والنهار، وخلق الغنى والفقر، وخلق الأمن والخوف، وخلق العزة والذلة ، وخلق الصحة والمرض، فتأتي الأحوال بأمره، وتزيد بأمره، وتنقص بأمره، وتزول بأمره وحده: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر: ٦٢].

والله وحده خالق الأشياء والأحوال والصفات وحده لا شريك له.

الله خلق الأرض وجعل فيها صفة الإنبات، وهذه سنته الكونية، والله قادر أن يعطي الثمر بلا نبات، كما أعطى مريم طعاماً بلا نبات، كما قال سبحانه: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾[آل عمران: ٣٧]

والله ﷻ خلق البحر، وجعل فيه صفة الإغراق، وهذه سنته الكونية، ولكنه قادر أن يغرق من يشاء بدون البحر، كما أغرق قارون وداره في اليابسة، وهذه قدرته: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[القصص: ٨١] .

فتلك سنته الكونية، وهذه قدرته الربانية، لأنه قادرٌ على كل شيء، يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يعجزه شيء، يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[البقرة: ١٠٦].

والله سبحانه؛ خلق النار، وجعل فيها صفة الإحراق، وتلك سنته الجارية، ولكنه قادر أن يسلب النار صفة الإحراق وهي تشتعل، وتلك قدرته الربانية، كما قال الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء: ٦٩].

والله ﷻ خلق الطعام، وجعل فيه صفة الشبع، وتلك سنته الجارية، ولكنه سبحانه قادرٌ على أن يشبع من شاء بدون الطعام، كما فعل مع أهل الكهف؛ حيث ربّاهم وحفظهم من دون الطعام والشراب أكثر من ثلاثمائة سنة: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[الكهف: ٢٥]

فتلك سنته الجارية، وهذه قدرته الربانية جل جلاله.

وأكثر الناس ينظرون إلى سنته الجارية، وينسون قدرته التي لا يعجزها شيء، وينسبون لسنته الجارية الفعل، ويغفلون عن قدرته، والله يفعل جل جلاله ما يشاء بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس: ٨٢].

والله سبحانه خلق اللسان، وجعل فيه صفة الكلام، وهذه سنته الجارية، وهو قادرٌ على أن يظهر الكلام بدون لسان، كما قال سبحانه عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[فصلت: ٢١].

والله سبحانه خلق الحديد، وجعل فيه صفة البأس الشديد، وهو قادرٌ أن يسلب منه الصلابة، ويجعله لينًا كالزبد، كما جعله لينًا لداوود ﷺ كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[سبأ: ١٠ - ١١]

فتلك سنته الجارية، وهذه قدرته القاهرة، ليُعْلِم عباده أنه قادرٌ على كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١].

والمؤمن الذي تكون عنده حقيقة "لا إله إلا الله"، ويعمل بمقتضاها، فالله معه ينصره، ويؤيده، ويحفظه، فالذي يكون عنده الدين الكامل، وجهد الدين، تكون نُصرة الله معه: ﴿ ۞ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٤٠-٤١].

والذي يكون عنده بعض الدين، أو أجزاء من الدين، يأخذ الأجر والثواب، لكن لا تكون نصرة الله معه، ويحاسب على ترك واجبات الدين، وأعظمها ترك الدعوة إلى الله:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ - ١٠٥]

فلا يستوي من أدى الأمانة كاملة، مع من خان الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

٣- حقيقة المخلوق

كان الله ولم يكن شيءٌ قبله، كان الله ولم يكن شيءٌ معه، ثم خلق المخلوقات، ليُعرّف عباده بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

فجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، آيات عظيمة تدلُّ على عظمة خالقها، وتدلُّ الخلْق على ربهم، ليؤمنوا به ويوحدوه ويعبدوه وحده، كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[فصلت: ٣٧].

فكل مخلوق يشير إلى خالقه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢].

فالله جل جلاله خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، إظهارًا لقدرته، وتنبيهًا لبريته، ليعرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وآياته ومخلوقاته، ثم يعبدوه وحده بموجب هذه المعرفة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة: ١٦٤].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي شاهدةٌ بوحدانية الله، ومسبحةٌ بحمده، وساجدةٌ لعظمته، ومتصاغرةٌ لكبريائه، وذليلةٌ لعزته، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ

وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨].

وكل مخلوق من مخلوقات الله لا يملك نفسه، ولا يملك صفاته، ولا يملك آثاره، فالنار التي تُحرق جعلها الله بردًا وسلامًا على إبراهيم، والبحر الذي يغرق جعله الله لموسى طريقًا يبسًا، فخالق المخلوق هو الله وحده، وخالق صفاته هو الله وحده، والله قادرٌ على تغيير صفات كل مخلوق، فالعين التي تُبصر يجعلها الله أحيانا لا تبصر، لأنه خلا منها أمر الله فلم تبصر، والشجرة أحيانا لا تُثمر، لأنه خلا منها أمر الله فلم تثمر: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

وجميع أسباب الحياة في العالم كله لا تملك ذرة من الحياة، لأن مالك الحياة، وخالق الحياة في أسباب الحياة هو الله وحده: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

وجميع أسباب العزة في العالم كله لا تملك ذرة من العزة، لأن مالك العزة، وخالق العزة في أسباب العزة هو رب العزة، جل جلاله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس: ٦٥].

وجميع طائرات وصواريخ ودبابات العالم كله لا تستطيع قتل نملة لم يرد الله قتلها، ولا يستطيع العالم كله إحياء نملة أراد الله موتها: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ

﴿ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ١ – ٢]

وجميع أسباب الفوز والفلاح ليست بالأموال والأسباب والأشياء، لأن الفوز والفلاح بيد الله وحده، وطريقه الإيمان بالله، والأعمال الصالحة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

وكل ما سوى الله من المخلوقات لا يفعل شيئاً بنفسه من دون أمر الله .

فالنار بدون أمر الله لا تحُرِق، والبحر بدون أمر الله لا يُغرِق، والنوم بدون أمر الله لا يعطي الراحة، والدواء بدون أمر الله لا يعطي الشفاء، والأرض بدون أمر الله لا تُنبت الزرع، والشجرة بدون أمر الله لا تعطي الثمر، والماء بدون أمر الله لا يُروي، والطعام بدون أمر الله لا يُشبع، والعين بدون أمر الله لا تُبصر، والأذن بدون أمر الله لا تستطيع أن تسمع، واليد بدون أمر الله لا تستطيع أن تتحرك، والرِّجل بدون أمر الله لا تستطيع أن تمشي، فكل مخلوق لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بإذن الله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦].

وكل شيء في الكون خزائنه عند الله، لكن الله جعل المخلوق ممرًا له، وطريقًا له، وبابًا له، فالله قادرٌ على كل شيء، أظهر قدرته لعباده بخمسة أمور، ليعرفوا كمال قدرة ربهم العظيم.

أظهرها: بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

فتيقن أيها المؤمن أن الثمر من خزائن الله، والشجرة ممرٌ له، والشفاء من خزائن الله، والدواء ممرٌ له، والمطر من خزائن الله، والسُّحب ممرٌ له، وإناءٌ له، والنور من خزائن الله، والشمس والقمر والنجوم ممرٌ له، وإناءٌ له، والحبوب والثمار من خزائن الله، والأرض ممرٌ له، وإناءٌ له، وبابٌ له،

ووعاءٌ له، والكلام من خزائن الله، واللسان ممرٌ له، وإناءٌ له، ووعاءٌ له: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

وتيقن أن الحديد وأنواع المعادن، والذهب والفضة من خزائن الله، والأرض والجبال إناءٌ لها، ووعاءٌ لها، والماء والهواء من خزائن الله، والأنهار والبحار والعيون والسحب ممرٌ له، وإناءٌ له، ووعاءٌ له: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣]

والله جل جلاله بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء، لأن الله بيده الملك كله، وله الخلق كله، وبيده الأمر كله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

فحقيقة المخلوق كبيرًا كان أو صغيرًا، أنه ليس بيده شيء، لأن الله وحده هو الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

فكل شيء يخرج من خزائن الله، فالبقرة ستارة، ويد القدرة من خلفها تعطينا اللبن من خزائن الله، والشجرة ستارة، ويد القدرة تعطينا الثمرة من خزائن الله، والنحلة ستارة، ويد القدرة تعطينا العسل من خزائن الله، والشمس ستارة، ويد القدرة الإلهية تعطينا الضوء من خزائن الله، والأرض ستارة، ويد القدرة تعطينا النبات والزرع والحبوب من خزائن الله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

فالله خلق الأرض، وخلق فيها الزرع، والأرض مخلوق، والزرع مخلوق، فالأرض مخلوقٌ لا يخلق المخلوق، لأن الخالق هو الله وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والإنسان في الدنيا يرى المخلوق، ولا يرى الخالق، فيرى الشمس، ولا يرى خالق الشمس، ويرى البحر ولا يرى خالق البحر، ويوم القيامة تُكشف الحقيقة، فيرى الله وحده بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء:﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[ق : ٢٢].

وكل مخلوق إما أن يسخره الله لك، وإما أن يسلّطه الله عليك.

فالمؤمن حقًا أصلحَ ما بينه وبين ربه، فأصلحَ الله ما بينه وبين خلقه، والكافر أفسد ما بينه وبين ربه، فسلّط الله عليه مخلوقاته:﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة: ٥٥].

فعلى قدر اشتغال المؤمن بأوامر الله، يسخِّر الله الخلق في منافعه، كما قال نوح ﷺ لقومه:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح: ١٠ - ١٤]

فسبحان الرب العظيم الذي خلق كل شيء من لا شيء، وأبدع خلق كل شيء، وأحسن خلق كل شيء، وأتقن صنع كل شيء، فلا يحتاج إلى زيادة أو نقص، أو تغيير أو تحسين:﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر: ٦٤].

والله سبحانه قادر على كل شيء، يستوي عنده خلق الصغير والكبير، وخلق القليل والكثير، وخلق الذرات والمجرات: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[لقمان: ٢٨] .

وكل المخلوقات صورٌ لا تفعل بذاتها شيئاً إنما الفاعل فيها أمر الله، وهي ممرٌ لأمر الله، ونحن نرى الصور، ولا نرى أمر الله، فنظن أنها تفعل بنفسها

من دون أمر الله، والفعَّال واحدٌ وهو الله، والخالق واحد وهو الله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر: ٦٢] .

فالشجر مخلوق، والثمر مخلوق، والخالق هو الله وحده، والثمر يخرج من خزائن الله، والشجر معبر له، والشمس مخلوقة، ونورها مخلوق، والله خالق الشمس، وخالق النور في الشمس، والشمس مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، لأن الخالق واحد، ونور الشمس يخرج من خزائن الله، والشمس ممرٌ له، ومَعبرٌ له:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر: ٢١].

فجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي أوانٍ فارغةٍ، يضع الله فيها ما يشاء من النفع والضر، والعطاء والمنع، والحركة والسكون، والحياة والموت، والله يخلق من عدم، ويخلق مخلوقاً من مخلوق، كما يخلق الثمر من الشجر.

فالأرض ستارةٌ، والزرع والثمر الذي يخرج من خلالها إنما يخرج من خزائن الله، وبقدرة الله، فالأرض مخلوق، والزرع مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، وإنما الخالق هو الله وحده لا شريك له، والأرض ستارة لقدرة الله، فنحن نرى الأرض، ولا نرى يد القدرة الإلهية التي خلقت الزرع: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧ ﴾

[الواقعة: ٦٣ – ٦٧]

الأمر لله وحده في السموات والأرض، الأمر لله وحده في كل مخلوق، أمرُ الله جل جلاله يمشي على السمع والبصر في كل حين، فالعين لا ترى الجراثيم، ولا البكتيريا، ولا الجن، ولا الملائكة، لأن البصر له قدرة

محدودة، يرى ما أَذِنَ الله له به فقط، والدِّيك يرى الملائكة فيؤذّن، والحمار يرى الشياطين فينهق، لأن الله أذن لهذا وهذا بذلك، وكذلك الإنسان لا يسمع عذاب القبر، لأن السمع محدود، لا يسمع إِلَّا ما أذن الله للإنسان به، ولكن الحيوانات تسمع عذاب القبر، فالعين والأذن مخلوقان، والسمع والبصر فيهما بأمر الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣].

فجميع المخلوقات الكبرى والصغرى، في العالم العلوي والعالم السفلي، لا تفعل شيئاً بنفسها، وكلها تنتظر أمر الله في كل حين بالعطاء والمنع، والنفع والضر، والحركة والسكون، والحياة والموت: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالخلق إيجاد، والأمر إمداد، والله خلق الشمس، وأمدها بالضياء، وخلق اللسان، وأمده بالكلام ، وخلق الأذن، وأمدها بالسمع .. وهكذا.

فلله جل جلاله الأوامر الكونية في ملكه العظيم، وله الأوامر الشرعية على خلقه من الجن والإنس، وله الأوامر الجزائية على خلقه من الجن والإنس، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣]

٤- كيف تستقر حقيقة لا إله إلا الله في القلب؟

لا إله إلا الله علاجٌ لجميع أمراض القلوب، وعلاج لجميع أمراض الشرك بأنواعه؛ الشرك في الربوبية، والشرك في الألوهية، والشرك في العبادة، والشرك في الطاعة، والشرك في المحبة، والشرك في الخوف، والشرك في الرجاء: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

ولا إله إلا الله علاج لجميع أنواع الكفر:

كفر الإنكار، وكفر الاستكبار، وكفر الإعراض، وكفر النفاق .

وحقيقة لا إله إلا الله لا تثبُت في القلب إلا بالنفي والإثبات، النفي الكامل لفعل كل ما سوى الله من المخلوقات بنفسه، والإثبات الكامل للربوبية والألوهية، والعبودية لله وحده لا شريك له؛

فالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والشمس والقمر، والملائكة والروح، والجن والإنس، والجبال والبحار، والحيوانات والطيور، والجمادات والنباتات، وغيرهم، كلهم ليس بأيديهم شيء، ولا عندهم شيء، وأصلًا ما كانوا شيئًا، لأن الله كان وحده، ثم خلق المخلوقات، لِتدُل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتشهد له مخلوقاته بالوحدانية، وتسبح بحمده: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤]

وإذا جاء في القلب النفي الكامل لفعل كل ما سوى الله بنفسه، وفرغ القلب من نفي فعل كل ما سوى الله، تهيأ هذا القلب لقبول التوحيد الكامل، والإيمان الكامل، واليقين الكامل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم استعد

للقيام بامتثال أوامر الله بكمال الحب والتعظيم، والذل لله ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأحكام المجيدة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

وإثبات حقيقة التوحيد والإيمان في القلب له خمسة أركان :

الأول: الإيمان بوجود الله ﷻ، كما قال سبحانه:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: الإيمان بوحدانية الله ﷻ، كما قال سبحانه:﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣].

الثالث: الإيمان بربوبية الله ﷻ، كما قال سبحانه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]

الرابع: الإيمان بألوهية الله ﷻ، كما قال سبحانه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

الخامس: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله، كما قال سبحانه:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤]

يجب أن يعرف قلب المؤمن أن الله جل جلاله هو الواحد الأحد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة: ١٦٣].

هو الواحد الأحد الصمد، الغني عن كل ما سواه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص: ١ – ٤]

الله جل جلاله هو الرب العظيم الكبير في ذاته العليا، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، وأحكامه المجيدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨].

هو سبحانه الخالق الذي خلق ويخلق المخلوقات، ويدبر الكائنات، ويقلِّب الليل والنهار على الأرض، ويقلّب الأحوال على الخلق في كل آن .

هو جل جلاله الملك الحق، المتفرد بخلق كل مخلوقاته في مملكته، متكلّمٌ بأمره ونهيه، عليمٌ بجميع مخلوقاته، سميعٌ لجميع مخلوقاته، بصيرٌ بجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، رقيبٌ على ضمائر الخلق وأسرارهم، قاهرٌ فوق عباده، مستوٍ على عرشه بصفات جلاله وجماله وكماله، كما قال سبحانه:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه: ٥].

حيٌ قيوم، يخلق ويرزق، ويدبّر ويصرّف، ويأمر وينهى، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويبسط ويقبض، ويرفع ويخفض، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، وهو الحكيم الخبير:﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ

﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧]

هو الرب الرحمن الرحيم الذي يرحم إذا استُرحِم، ويغفر إذا استُغفِر، ويتوب على من تاب، ويجُيب إذا دُعي، ويُقيل إذا استقيل، ويكشف الضر، ويجيب المضطر: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

هو الرب العظيم الحي، هو الرب العظيم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال والجمال، المنزّه عن النقص والعيب، والنّد، والمثال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو الحي القيوم القادر على كل شيء، يقلّب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس .

فسبحان الحي القيوم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وكل أفعاله في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان، وهو في كل آن، في كل زمان ومكان، يغفر ذنبًا، ويفرج همًا، ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويشفي مريضًا، ويؤمِّن خائفًا، ويشبع جائعًا، ويعلّم جاهلًا ، ويرشد حيرانًا، ويغيث ملهوفًا، ويفك عانيًا، ويعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويعز ذليلًا، ويذل عزيزًا، ويهدي ضالًا، ويقيل العثرات، ويستر العورات، ويمحو السيئات، ويغفر الزلات، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويجيب السائلين، ويعطي الطالبين، ولا يُشغله شأن عن شأن، حيٌ قيومٌ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩] .

فلا إله إلا هو، ولا رب سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو الملك العزيز القادر على كل شيء، يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦] .

والسماوات السبع في كفه جل جلاله كخردله في كف بشر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

هو سبحانه الخالق، وكل ما سواه مخلوق، هو الكبير وكل ما سواه صغير، هو القوي وكل ما سواه ضعيف، هو القادر وكل ما سواه عاجز، هو العزيز وكل ما سواه ذليل، هو الملك وكل ما سواه عبدٌ له، هو الغني وكل ما سواه فقير إليه، هو القهار وكل ما سواه مقهورٌ له، هو الحاكم وكل ما سواه محكوم، هو العلي الأعلى وكل ما سواه دونه، هو الحي وكل ما سواه يموت: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

كل شيء خاضعٌ لأمره جل جلاله، وكل شيء مستجيبٌ لمشيئته، ومسرعٌ إلى إرادته، وكل شيء خاشعٌ له، وكل شيء متصاغرٌ لكبريائه، وذليلٌ لعزته: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤] .

الله جل جلاله هو الملك الحق، الذي له الملك كله، في الكون كله .

فله وحده ملك السماوات والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن، وله ملك خزائن السماوات والأرض، وله ملك جنود السماوات والأرض، وله مُلك غيب السماوات والأرض، وله ملك مقاليد السماوات والأرض، وله ملك ميراث السماوات والأرض، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا وملك الآخرة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

والرب الذي بيده الملك هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .
من الفرش إلى العرش مِلكٌ لله ﷻ، من الذرة إلى المجرة ملكٌ لله ﷻ، من القطرة إلى البحار والمحيطات ملكٌ لله ﷻ، من النملة إلى أعظم مخلوق ملكٌ لله ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته لأفعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

الله جل جلاله أحق من ذُكِر، وأحق من عُبِد، وأحق من حُمِد، وأولى من شُكر، وأجود من سُئل، وانصر من ابتغي، وأرأف من مَلك، وأرحم من رحم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

هو سبحانه الملك العزيز الرحمن الرحيم، يُطاع فيَشكر، ويُعصى فيغفِر، لن يطاع إلا بإذنه وعونه، ولن يعصَ إلا بعلمه وحكمته، لا يحُاط بملكه، ولا تحُصى نعمه، ولا تُعد كلماته، ولا يحُاط بصفاته: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

فمن عرف الله حقًا جاء في قلبه اليقين على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فعبدَ الله كأنه يراه بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

هو جل جلاله الفعّال، وكل ما سواه مفعول ليس بيده شيء، كل مخلوقٍ كالإناء الفارغ ليس بيده شيء، وليس عنده شيء، وكل مخلوق كالصورة التي لا روح فيها، وكل مخلوق لا يفعل إلا بأمر الله وحده: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر: ٦٢].

فالمخلوقات كلها صور نراها، وأمر الله فيها لا نراه، فنحن نرى المخلوق، ولا نرى الخالق، ونرى الصور، ولا نرى المصوّر، ونرى الرزق، ولا نرى الرزاق، فالإيمان تصديق الخبر، وتكذيب النظر، ونفيُ المشاهدات، وتصديق الغيبيات: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩].

فالمخلوقات جميعًا إذا كان فيها أمر الله تفعل، وإذا خلا منها أمر الله لا تفعل، فالشجر الذي تخرج منه الثمرات بإذن الله، إذا خلا منه أمر الله مات وعاد حطبًا، والإنسان الحي يسمع ويبصر، ويتكلم، ويتحرك، ويأكل ويشرب، فإذا خلا منه أمر الله مات، وصار جثةً هامدةً تُدفن في الأرض: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون: ٨٠] .

هو جل جلاله الملك، وملائكته في ملكوته ما بين مدبرٍ للأمر في ملكه، ونازلٍ بالأمر من عنده، وصاعدٍ بالأمر إليه، فكلهم قائمون بأمره: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم: ٦].

والملائكة في جميع أحوالهم عابدون لربهم: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[الأنبياء: ١٩ – ٢٠] .

ما شاء الله كان، في الوقت الذي شاء، على الوجه الذي شاء، بالقدر الذي شاء، في العالم العلوي، والعالم السفلي، من غير زيادة ولا نقصان، ولا

تقديم ولا تأخير: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس: ٨٢ – ٨٣].

وأوامره الكونية نافذة في السماوات السبع وأقطارها، وفي الأراضين السبع وما عليها وما تحتها، وفي البر والجو، وفي البحار والأنهار، وفي السهول والجبال، وفي الذرات والمجرات، وسائر أجزاء العالم، يقلّبها الله ويصرّفها، ويحركها ويسكّنها، ويُحدِث فيها ما شاء بحكمةٍ بالغةٍ، وقدرةٍ نافذةٍ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[الملك:١- ٢].

هو سبحانه الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، الملك الذي كل شيء مُلكُه، النافذ أمره في جميع مُلكِه، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، البصير الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه شيء، العلي فوق كل شيء، العظيم الذي لا نهاية لعظمته: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة: ٢٥٥].

وأوامره الشرعية أنزلها على عباده رحمة بهم على مر الدهور والأزمان، أنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله، ليعرفَ الناس ربهم، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾﴾[الحديد: ٩].

وختم رسالاته لأهل الأرض بالدين الكامل الذي جاء به محمد ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة: ٣].

وجعل هذه الأمة خير أمةٍ أخرجت للناس إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

هو الرب العظيم، والإله الرحيم، الذي تفرَّد بالربوبية، والالوهية، والوحدانية، والقيومية، وجميع المخلوقات مفتقرة إليه في إيجادها وبقائها، وفي أرزاقها وأقواتها، وفي حياتها وفنائها، هو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وكل مخلوقاته مُلكُه، وكلهم عبيده، وكلهم في قبضته، وتحت تصرفه، وقهره وسلطانه في كل حين: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم سلطانه وقدرته: ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦].

هو السميع البصير بكل شيء، هو السميع الذي يسمع القريب والبعيد، والسر والعلن، والجهر والخفوت: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

هو البصير الذي أحاط بصره بجميع مخلوقاته، يبصر الذرات كما يبصر المجرات، ويبصر الغائب كما يبصر الشاهد، ويرى ما في الظلمات كما يرى ما في النور: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

ويرى سبحانه ما تحت الأراضين السبع، كما يرى ما فوق السماوات السبع، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، ويرى جريان المياه في أوراق النباتات وعروقها وأوراقها، على اختلاف أنواعها وأحجامها ومكانها، ويرى سبحانه في آنٍ واحدٍ جريان الدم في عروق النمل، والنحل، والبعوض، والحيوانات، والطيور، والذرات، والحشرات: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦ ﴾[آل عمران: ٥ – ٦]

هو سبحانه البصير العليم الخبير؛ الذي يرى ويعلم خائنة الأعين، وتقلّبات الأجفان، وحركات الجَنان، ومُضمَرات القلوب: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾[غافر: ١٩].

هو السميع؛ الذي لكمال سمعه يسمع جميع المخلوقات، الناطق والصامت، والقريب والبعيد، والشاهد والغائب، ويسمع في وقت واحد ضجيج الأصوات، بمختلف اللغات، على تفنن الحاجات: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[الشورى: ١١] .

هو السميع الذي أحاط سمعه بجميع المخلوقات، على اختلاف أنواعها وحاجاتها ، لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ، ولا يشغله صوتٌ عن صوتٍ، ولا يغيب عنه صوت، ولا يخفى عليه صوت دبيب النملة، أو حركة الذرة، أو ذبذبات الصخور في بطون الجبال، أو أعماق البحار: {﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۢ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ [الرعد: ١٠]

الغيبُ عنده شهادة، والسرَّ عنده علانية، وكل مخلوقاته بين يديه أصغر من الذرة هو السميع الذي يسمع السر وأخفى من السر، هو العليم بكل شيء،

البصير بكل شيء: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[سبأ: ٢].

هو سبحانه الرب العظيم العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء .

فسبحان الرب العليم بكل ما يجري في عالم الغيب والشهادة: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩].

هو العليم بكل ذرة، العليم الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس: ٦١].

هو الرب العظيم الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء علمًا ورحمةً وعدلًا: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر: ٧].

ولكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق، وما خلفهم، ويعلم ماضيهم، وحاضرهم، ومستقبلهم، وعلمه لا يعتريه نسيان، ولم يسبقه جهل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥].

هو العليم الذي يعلم ما في البواطن، كما يعلم ما في الظواهر، ويعلم الجزئيات كما يعلم الكليات، ويعلم دقائق الأمور كما يعلم كبيرها، ويعلم

الأسرار كما يعلم العلن: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ – ١٤]

هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، السميع البصير، العليم الخبير بكل شيء، يعلم وحده مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد أوراق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، وعدد ما أظلم عليه الليل، وعدد ما أشرق عليه النهار، لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، حيٌّ قيومٌ، عليمٌ قادرٌ، قائمٌ على كل نفس، رقيبٌ على كل ذرة، شهيدٌ لكل حركة، يدبر شؤون خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي، على مر الدهور والأزمان، وفق حكمةٍ بالغةٍ، وإرادةٍ نافذةٍ، وقدرةٍ مطلقةٍ، فله وحده الملك العظيم، والتدبير الحكيم، والقدرة التامة، والمشيئة النافذة، والعلم المحيط بما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا علمه الواسع، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو العلي الأعلى المتعال، العلي الذي لا تُدرَك ذاته، ولا تتصور صفاته، فسبحان من لا يُدرِك ذاته إلا ذاته، ولا يحيط أحدٌ من خلقه بصفةٍ من صفاته: ﴿۞ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه العلي بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله على سائر مخلوقاته، لا يزيده تعظيم العباد له علوًا، لأنه الغني عنهم، وهم الفقراء إليه، ولا تنفعه

طاعاتهم، ولا تضره معاصيهم، فهو جل جلاله العلي الأعلى، الذي تعالى عن الأضداد والأنداد، وتعالى عن الشبيه والمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو سبحانه القوي المتين، القادر القدير المقتدر، القاهر القهار، العزيز الجبار، الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجَع الأمر كله، وله الثناء كله، وله المجد كله، وله النعمة والفضل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

وسع علمه كل شيء، وأحاطت قدرته بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته كل حي، وأحاط بصره بكل شيء، وأحاط سمعه بكل شيء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣]

فسبحان الرب العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، وجميع مخلوقاته في قبضته، وطوع إرادته، وكلها تشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته، وتذعن لأمره: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة:١].

هو سبحانه الرحمن الرحيم، البَر الكريم المحسن، اللطيف الحليم الغفور، الرفيق الرؤوف التواب، المعطي الوهاب، القدوس السلام ، الذي تفرّد بالأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والنعوت الحميدة، وأحب عباده إليه من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ

﴿ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

هو الشكور الشاكر الذي يرضى بالقليل من العمل، ويعطي عليه العظيم من الأجر، ويعفو عن الكثير من الزلل: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

هو سبحانه الغني الرزاق، الكريم الأكرم الوهاب:﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات: ٥٨].

فهو الغني الذي يملك خزائن كل شيء، الرزاق الذي تكفَّل برزق كل حي ما يحفظ له حياته، يرزق بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلّة الأسباب، وبكثرة الأسباب، يوصِّل لكل مخلوق رزقه كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا:﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود: ٦].

هو الرزاق الذي جميع المخلوقات تأكل من رزقه، فكل مخلوق يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويسعد بكرمه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣].

وهو الوهاب الواهب لكل نعمة، الكريم الذي يهب العطاء دون عِوض، ويعطي النعم دون سؤال، ويهب ما شاء، لمن شاء، بقدر ما يشاء، في اي وقت يشاء:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران: ٨].

وهو الكريم الأكرم الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، وأهل الدنيا والآخرة، ومن في عالم الغيب وعالم الشهادة، والسائل والساكت، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر، فما بالعباد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، فلا

يخلو مخلوق من إنعامه وإحسانه طرفة عين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

فلا إله إلا الله الكريم الوهاب الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، مع كثرة العطاء والإنفاق على مر الدهور والأزمان: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

هو الكريم المحسن من جميع الوجوه والاعتبارات، فكما أنه الكريم الجواد بإعطاء الخيرات والبركات، والمواهب والهبات، هو الكريم المحسن الذي يجود بالحلم على العاصين، والستر على المخالفين، والصبر على المحاربين له ولرسله ولدينه ولأوليائه، والعفو عن المذنبين: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

هو سبحانه المُقيت الذي يعطي القوت لكل مخلوق حيث كان، وهو الرب اللطيف الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا والخبايا، والبواطن والأسرار، وما أكنّته الصدور، وأدرك ما في الأرض من خبايا البذور، ولطف بأوليائه، فيسرهم لليسرى، وجنَّبهم العسرى، وسهّل لهم سبل مرضاته، وحفظهم من كل وسيلة توصل إلى سخطه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣]

وهو سبحانه الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وجمال جميع المخلوقات من آثار جماله، فكل جميل هو الذي جمّله، وجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي في منتهى الحسن والجمال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وهو سبحانه القريب المجيب الشهيد، الذي يجيب من دعاه، ويعطي من سأله، ويتوب على من تاب إليه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الخالق الذي خلق كل شيء، البارئ الذي أعطى كل شيء ما يناسبه؛ من الخلق والإبداع، والتكوين والمقدار، وفق حكمته وإرادته ومشيئته.

وهو المصور الذي صور كل مخلوق، وخصّه بصورة تميزه عن غيره من المخلوقات في الشكل والحجم واللون: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤]

والكل يسبح بحمد ربه، ويشير إلى خالقه ويشهد له بالوحدانية: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُوحَّد فلا يُشرك به شيئًا، ويُعبد وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]

وهو سبحانه الحسيب ذو الشرف والعز والمجد، المحاسِب الذي يحاسب عباده، ثم يجازيهم بأعمالهم، الحسيب الذي يكفي عباده كل ما يحتاجونه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهو الهادي المبين، الذي يُرشد الضالين إلى الهدى، ويُبين الحق من الباطل، بما أنزل من كتبه، وأرسل من رسله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

وهو الحكيم الحكم الذي له الحُكم في كل شيء، الذي يحكم بين عباده بالحق والعدل، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣ ﴾ [الأنعام:٨٣].

فسبحان الملك القدوس السلام، القدوس المُقدَّس عن كل عيبٍ ونقصٍ وظلم، المقدَّس المعظَّم المنزَّه عن الندِّ والمُثل، وعن الكفء والشبيه، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه: ٨].

هو سبحانه الفتاح الذي فتح بأحكامه القدرية والشرعية والجزائية؛ فأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وسن لعباده الأحكام والوسائل التي يهتدون بها إلي منافعهم في الدنيا والآخرة، هو وحده الفتاح الذي يفتح لعباده أبواب الرحمات والبركات، والخيرات والعطيات: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾[فاطر: ٢]

وهو سبحانه النور الذي نوَّر السماوات والأرض، وبنوره استنارت قلوب المؤمنين، وبنوره استنارت جنات النعيم، وبنوره استنارت قلوب العارفين، وكل نور في العالم فمن آثار نوره:

قال النبي ﷺ : «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم (١).

كل شيءٍ من مخلوقاته دالٌ عليه، وكل شيءٍ تراه مرشدٌ إليه، أسماؤه الحسنى كلها أسماء مدحٍ وتمجيدٍ، وثناءٍ وتحميدٍ، وصفاته العلى كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال وجمال، وأفعاله كلها حكمةٌ ورحمةٌ، وعدلٌ وإحسانٌ: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

وإذا عرف المؤمن حقيقة الإيمان بالله ﷻ؛ أحب ربه وكبره، وحمده وشكره، وخافه ورجاه، واشتاقت نفسه لطاعته، وعبادته، ومناجاته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

٥- أركان العبودية لله ﷻ

تحقيق العبودية لله ﷻ يكون بعد معرفة الربوبية.

فالعبودية الكاملة لله ﷻ تقوم على أصلين عظيمين:

الاول : النفي الكامل لفعل كل ما سوى الله بنفسه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾]غافر: ٦٥ - ٦٦[.

الثاني: إثبات الربوبية والألوهية والعبودية لله وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

والعبودية الكاملة لله ﷻ تقوم على خمسة أركان:

الأول : معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعبادته وحده بموجب هذه المعرفة، ونفي فعل كل ما سواه بنفسه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

الثاني: تعظيم الله وتكبيره، لأن من عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى، وعرف عظمة ملكه وسلطانه؛ كبره وعظمه ومجده: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١].

الثالث :محبة الله ﷻ ، فمن عرف الله بصفات جلاله وجماله وكماله، وعرف عظمة نعمه وإحسانه، وكمال رحمته ولطفه بعباده؛ امتلأ قلبه بمحبته، وحمدِه وشكره ، ومن أحبه أطاعه، ولم يخالف أمره: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ

مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢]

الرابع: طاعة الله ﷻ، فمن عرف الله حقًا؛ أحبه ومجده، وخافه ورجاه، وأطاعه ولم يعصه، فكل محب لمن يحب مطيع: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

الخامس: الدعوة إلى الله جل جلاله:

فمن عرف الله حقًا كبره حقًا، وأحبه حقًا، وحمده حقًا، وأطاعه حقًا، ودعا الناس إليه، ليستفيدوا من خزائنه بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فهذه الأمة عليها واجبان: الاستقامة على الدين، والدعوة إلى الله، كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

فعلى كل مسلم ومسلمة واجبان عظيمان:

الأول: معرفة الرب الذي يعبد: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني: تعريف الناس بالرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

الدواء الثاني

تحقيق اليقين على شهادة أن محمداً رسول الله

ويشتمل هذا الدواء العظيم على المباحث الآتية:

الأول: فضائل النبي ﷺ.

الثاني: أقسام حياة النبي ﷺ.

الثالث: فقه شهادة أن محمداً رسول الله

الرابع: مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله

الخامس: حقيقة اليقين على شهادة أن محمداً رسول الله

السادس: حقوق النبي ﷺ

السابع: نواقض شهادة أن محمداً رسول الله.

الدواء الثاني

تحقيق اليقين على شهادة أن محمداً رسول الله

١ - فضائل النبي ﷺ

رسولنا محمد ﷺ سيد ولد آدم، وأفضل الأنبياء والمرسلين، جمع الله له ما تفرق من كمالات الأنبياء من الأقوال، والأعمال، والأخلاق، وخصه ربه الذي اصطفاه بخصائص تميز بها عن غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وخصائصه وفضائله ﷺ تزيد على مائة صفة كريمة زينه الله بها، وجمّله بها، وأثنى عليه بها، لأنه قدوة لغيره إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وهذه بعض فضائله وخصائصه ﷺ :

الأولى: من فضائله ﷺ أنه ﷺ أعطي خمساً لم يعطهن أحد قبله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه. (١).

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥)، ومسلم برقم (٥٢١).

الثانية: أن الله سبحانه أخذ العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه.

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨١] .

الثالثة: أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين :

قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠] .

الرابعة: أن الله ﷻ حفظ الكتاب الذي أنزله عليه إلى يوم القيامة

كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩] .

الخامسة: أنه ﷺ أَمَنَةٌ لأصحابه من العذاب والفتن في حياته.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٣] .

وقال النبي ﷺ:«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» أخرجه مسلم [1].

السادسة: أن الله ﷻ أقسم بحياته لما فيها من عظيم الخير والبركات والفضائل

كما قال سبحانه: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر/ ٧٢] .

السابعة: أنه ﷺ أكثر الناس تبعاً في الدنيا والآخرة.

قال النبي ﷺ:«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»أخرجه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).

مسلم[1].

الثامنة: أن الله ﷻ نادى كل نبي باسمه، ونادى محمداً ﷺ بوصف النبوة والرسالة، زيادة في التكريم والإجلال له .

فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[المائدة/ ٦٧] .

التاسعة: أن الله ﷻ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ ﴾[الفتح/ ١ – ٢] .

العاشرة: أن الله ﷻ قرن اسمه باسمه في كتابه تشريفًا له وتعظيمًا له .

كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١].

الحادية عشرة: أن الله ﷻ أعطاه مفاتيح خزائن الأرض.

قال النبي ﷺ:«بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا . متفق عليه[2].

الثانية عشرة: أن الله ﷻ خصه بالإسراء والمعراج .

كما قال سبحانه:﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء/ ١] .

---

(1) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

(2) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٧)، ومسلم برقم (٥٢٢).

الثالثة عشرة: أنه ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

قال النبي ﷺ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ المُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَاللهِ لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» متفق عليه.(١).

الرابعة عشرة: أن الله ﷻ خصه بدرجة الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود يوم القيامة.

قال الله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾]الإسراء: ٧٩[.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري (٢).

الخامسة عشرة: أنه ﷺ أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ» متفق عليه(٣).

السادسة عشرة: أنه ﷺ أول من يقرع باب الجنة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي بَابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ». أخرجه مسلم(٤).

السابعة عشرة: أنه ﷺ أول من يمر على الصراط.

قال رسول الله ﷺ في حديث الساعة: «..وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يجُيزُ » متفق عليه(٥).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٩)، ومسلم برقم (٤٢٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٩).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٣٧٣).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٣)، ومسلم برقم (١٨٢).

الثامنة عشرة: أن الله ﷻ خصه بالكوثر .

كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]

التاسعة عشرة: أن ما بين بيته ومنبره روضةٌ من رياض الجنة .

قال النبي ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ» متفق عليه[١].

العشرون: أن الله ﷻ خصه يوم القيامة بالدعوة المستجابة.

كما قال ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا» متفق عليه[٢].

الحادية والعشرون: أنه ﷺ يدخل الجنة من أمته سبعون ألفاً بغير حساب.

قال النبي ﷺ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ الفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه[٣].

ومن خصائصه ﷺ أنه لا يمشي معه أحد إلا طاله، وأنه إذا جلس في مجلسٍ يعلوه، وأنه إذا مشى أظله الغمام، وأنه يمشي وليس له ظل.

ومن خصائصه ﷺ في الآخرة أن جميع الأنبياء يوم القيامة يكونون تحت لوائه، وأنه ﷺ أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنه وحده صاحب المقام المحمود يوم القيامة، وأنه سيعطى الوسيلة يوم القيامة، وهي مرتبة عالية في الجنة، وأنه سيعطى الشفاعة الكبرى يوم القيامة، وأنه أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، وأنه إمام الأنبياء وخطيبهم يوم القيامة فصلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩٠).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، ومسلم برقم (١٩٩).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥)، ومسلم برقم (٢١٨).

٢- أقسام حياة النبي ﷺ

حياة النبي ﷺ أحسن حياة ، وأطهر حياة، وأزكى حياة، وأجمل حياة.

فالله جل جلاله فرق الأخلاق الكريمة في الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء محمد ﷺ ، لأنه أسوة وقدوة لجميع البشرية إلى يوم القيامة، وأثنى عليه ربه بكمال أخلاقه، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]

ثم فرق الله ﷻ أخلاق النبي ﷺ في أمته، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، لأنهم نوابه في أمته كما قال الله عنهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وكان ﷺ أكرم الناس، وأرحم الناس بالناس، وأشجع الناس، وأعبد الناس، وكان يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، فبذلك ملك قلوب الخلق، فأحبوه وآمنوا به، ودخلوا في دينه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والأنبياء والرسل معصومون؛ لأنهم مبلغون لدين الله الذي أنزله عليهم .

وعصمة النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين:عصمة هداية وعصمة حماية .

فعصمة الهداية كما قال سبحانه: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ١-٤]

وعصمة الحماية كما قال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وحياة النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين:

الأول: الحياة المكية، وكلها قضاها ﷺ في الدعوة إلى الله، فكان يدعو الناس إلى الله في المواسم، في سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز، وفي موسم الحج، واستمر على ذلك ثلاثة عشر عاماً، ثم هاجر إلى المدينة.

وكان يقول للناس: « من يؤويني من ينصرني، حتى أبلّغ رسالة ربي وله الجنة، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ رسالة ربي » أخرجه أحمد وأبو داود[1] .

وكان يجتمع ﷺ بمن آمن به في دار الأرقم في مكة خلف جبل الصفا، وكانت أصول الحياة المكية أربعة هي:

الدعوة إلى الله .. والتعليم اليومي.. والشورى اليومية .. والزيارات الانفرادية بالاحتياط .

الثاني: الحياة المدنية، وأصولها خمسة:

فكان ﷺ يقوم مع أصحابه بخمسة أمور:

التعليم اليومي، والشورى اليومية، والجولة المقامية والانتقالية للدعوة إلى الله، والزيارات الانفرادية، والنفر في سبيل الله، لإبلاغ دين الله للناس .

وبالقيام بالدين، والقيام بجهد الدين، رضي الله عن المؤمنين، ورضوا عنه كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) **صحيح**، أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٢) وأبو داود برقم (٤٧٣٤).

وأقام ﷺ في المدينة عشر سنين، يدعو إلى الله مع أصحابه، حتى أظهر الله دينه، وقبض الله نبيه ﷺ بعد أن بلغ البلاغ المبين .

وحياة النبي ﷺ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

طريقة حياة .. وفرائض حياة .. ومقصد حياة.

فطريقة الحياة: هي الآداب الإسلامية التي تميز المسلم عن غيره في طريقة حياته، مثل: آداب المجلس، آداب الأكل والشرب، آداب الضيافة، آداب النوم، آداب طلب العلم، آداب الزيارات، آداب الإنفاق، آداب الكسب، آداب عيادة المريض، آداب السفر، آداب المعاشرات ،... وغير ذلك من الآداب الاسلامية التي تزيد على ألف أدب إسلامي مذكورة في القرآن والسنة.

أما فرائض الحياة: فهي الفرائض والحقوق التي يجب أداؤها.

فالفرائض الواجبة: هي شعائر الدين، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وأمثالها من الواجبات التي يجب على المسلم أداؤها.

وأما الحقوق التي يجب أداؤها على كل مسلم ومسلمة فهي كثيرة.

مثل: حق الله، وحق الرسول، وحق المسلم، وحق الكافر، وحق الجار، وحق الوالدين، وحق الضيف، وأداء الأمانات، والإحسان إلى الخلق، وأمثال ذلك من الحقوق الواجبة فيما بين الخلق والخالق، أو فيما بين الخلق والخلق كما قال سبحانه: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء: ٣٦].

وأما مقصد الحياة: فمقصد بعثة النبي ﷺ الدعوة إلى الله، وإبلاغ دين الله لكافة الخلق، وتعليم شرع الله لمن آمن به .

وقد ذكر الله مقصد بعثة النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

فهذه عشرة أمور هي مقصد بعثة النبي ﷺ .

وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة: ٢].

وأمته ﷺ نائبةٌ عنه في ابلاغ كل ما جاء به ﷺ من ربه؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء، كما قال سبحانه: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وقال النبي ﷺ: « فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» متفق عليه[1].

والمسلمون اليوم نصيبهم من حياة النبي ﷺ قليل، فهم ما بين مستقل، ومستكثر، ومحروم، حسب إيمانهم وتقواهم، هذا في طريقة الحياة، وفرائض الحياة.

أما في القيام بمقصد الحياة، وهو الدعوة إلى الله التي هي أعظم فريضة على هذه الأمة بعد الإيمان، فأكثرهم لا يقوم بأداء هذه الأمانة العظيمة، مع

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٤).

أنها أفرض الفرائض، وأعظم الواجبات، وسبب خيرية هذه الأمة، وسبب عزها، وفلاحها، ونجاتها، في الدنيا والآخرة، وتركها سبب ذلة هذه الأمة، وهوانها، وتعرضها للعقوبات في الدنيا والأخرة كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

والمؤمن حقا من وجدت في حياته كل الأعمال التي كانت في حياة النبي ﷺ وأصحابه، من عبادة، ودعوة، وتعليم لشرع الله، واحسان إلى خلق الله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف: ١٥٨].

وأصحاب النبي ﷺ قاموا بذلك المقصد العظيم، فهاجروا ونصروا من أجل إعلاء كلمة الله، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وفازوا بأعلى درجات الجنة كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠].

فمن سار على هديهم بالاستقامة على الدين، وإقامة الدين في العالم، فاز بمثل ما فازوا به في الدنيا والآخرة، من العزة والنصرة والغلبة، والفوز بالجنة كما قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج: ٤٠-٤١].

والله سبحانه أكرم هذه الأمة كما أكرم الأنبياء بثلاث كراماتٍ هي:

الأولى: الكافر ندعوه إلى الله

كما قال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثانية: الجاهل نعلمه شرع الله،

كما قال سبحانه: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

الثالثة: المحتاج نحسن إليه، ونؤلف قلبه، ونأخذ بيده

كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وهذه وظائف الأنبياء والرسل، الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله .

فهذه أمانات عظيمة، يجب أداؤها بأمانة، وإلا فهي الحسرة والندامة :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠].

ومقصد الدعوة إلى الله، نشر التوحيد والإيمان في العالم، وإحياء الدين كله، في العالم كله، إلى يوم القيامة، على طريقة النبي ﷺ ، حتى تصل الأمة إلى المستوى الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه عند وفاته: ﴿ هَٰذَا

﴿ بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

ومقصد شهادة أن محمداً رسول الله، أن نتيقن أن جميع الطرق تؤدي إلى الهلاك والخسران؛ إلا طريق الرسول ﷺ؛ فإنه يؤدي إلى النور والفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١ ﴾ [الأحزاب:٢١].

ولتكون حياتنا مطابقة لحياة النبي ﷺ ؛ يجب علينا أن نقتدي به في الصورة والسيرة والسريرة، وفي أقواله وأعماله وأخلاقه، ويتم ذلك بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١ ﴾ [الأحزاب:٢١].

واليقين على شهادة أن محمداً رسول الله، يثمر محبة الرسول ﷺ وطاعته.

وعلامة الحقيقة طاعة الرسول ﷺ في كل ما جاء به من ربه ﷻ: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال النبي ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين » متفق عليه[١] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٤).

٣- فقه شهادة ان محمداً رسول الله

شهادة أن لا إله إلا الله لعلاج أمراض الكفر والشرك والشك والنفاق، وشهادة أن محمداً رسول الله لعلاج أمراض الابتداع في الدين، وأمراض اتباع اليهود والنصارى وسائر الكفار: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾]الأعراف: ١٥٨[.

وشهادة أن محمداً رسول الله هي طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما اخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وشهادة أن محمداً رسول الله، كشهادة أن لا إله إلا الله، لها شروط لا ينتفع بها قائلها إلا بتحقيقها وهي:

الأول: العلم بمعناها، وهو العلم بأن محمداً رسول الله

كما قال سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

الثاني: استيقان القلب بهذه الشهادة :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات: ١٥].

الثالث: الانقياد لها ظاهراً وباطناً، وذلك بالقيام بحقوق النبي ﷺ، وأتباعه وحده :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

الرابع: القبول لها، فلا يرد شيئاً من لوازمها
كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

الخامس: الإخلاص فيها، بأن لا يجعل مع الرسول شريكاً في الاتباع
كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

السادس: الصدق فيها، وضده الكذب والنفاق
كما قال سبحانه: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: ١].

السابع: المحبة لهذه الشهادة وأهلها، والمعاداة لمن أبغضها: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

الثامن: الإيمان بها، والكفر بما يناقضها: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

٤ - مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله

مقصود شهادة أن محمداً رسول الله تحصيل الهداية باتباعه، ونشر الدين الذي جاء به في العالم، وذلك بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

وقال النبي ﷺ: « بَلِّغوا عَني وَلَو آيَة » أخرجه البخاري[1]

ولن يدخل الجنة أحد إلا بالإيمان والقبول والتسليم لكل ما جاء عن رسول الله ﷺ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥].

وقال النبي ﷺ:«كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّة إِلَّا مَنْ أَبى». قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَمَنْ يَأْبى؟ قَالَ:« مَنْ أَطَاعَني دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ عَصَاني فَقَدْ أَبى». متفق عليه[2].

وعلامة محبة الله ﷻ اتباع رسوله ﷺ، فيما جاء به عن ربه ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

وعلامة محبة الرسول ﷺ طاعته، وحب كل ما جاء به، والعمل به، ودعوة الناس إليه، وتعليم شرعه : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣٥).

ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

وثمرة الطاعة لله ولرسوله الفوز العظيم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب: ٧١].

ومقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ هي:

الإيمان به، وتصديقه، ومحبته، ونصر دينه، وابلاغ شريعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والإيمان بعموم رسالته للإنس والجن، والإيمان بأنه ﷺ خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، ورسالته خاتمة الرسالات إلى يوم القيامة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

والتصديق الكامل بأن الرسول ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، بعد أن ترك على الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

فالواجب على كل مسلم ومسلمة طاعة النبي ﷺ فيما أمر، حسب الاستطاعة واجتناب جميع ما نهى عنه وزجر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧].

وقال النبي ﷺ: « ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ» متفق عليه[1].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨)، ومسلم برقم (١٣٣٧).

فعلى كل مسلم ومسلمة واجبان:

الأول: معرفة الرب الذي يعبد بأسمائه وصفاته وأفعاله، كي يعبده وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

والثاني: معرفة الرسول الذي يتبع؛ كي يعبد الله ﷻ على طريقته، فيعرف اسمه ونسبه، ويعرف أخلاقه وآدابه، ويعرف أقواله وأفعاله، ويعرف دينه وشرعه، ويعرف جهده ودعوته؛ ليعبد الله وحده بما شرع، ويقتدي به في كل ما جاء به عن ربه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

وكل إنسان سيسأل عن ربه في قبره، وعن دينه، وعن رسوله ﷺ.

عن البراء بن عازب -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم إذا سُئل في القبر: يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [إبراهيم: ٢٧] متفق عليه.[1]

فعلينا جميعاً ألا نعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ ، من العبادات والمعاملات وغيرها مما جاء به عن ربه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

وعلينا ترك جميع الطرق التي تخالف سنته، لأن الدين قد كمل ببعثته، فلا يحتاج إلى زيادة من أحد: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري رقم: (٤٦٩٩)، ومسلم رقم: (٢٨٧١).

فالزم سنته، ولا تخالف أمره: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

وعلينا أن نحب الله ورسوله ﷺ، ونقدم ما يحبه الله ورسوله على ما تحبه النفس، ونقدم تلك المحبة على كل محبوب؛ لنفوز بثوابه، وننجوا من عقابه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال النبي ﷺ: « لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ » متفق عليه[1].

ومحبة النبي ﷺ مقرونة باتباعه، والعمل بما جاء به، فمن أحب النبي ﷺ ولم يتبعه فهو كافر، فأبو طالب عمه كان يحب النبي ﷺ؛ لكن لم يؤمن به ولم يتبعه فهو في النار: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وكذلك اتباع النبي ﷺ مقرون بمحبته، فمن أبغضه ولم يحبه فهو كافر كالمنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢].

ودليل محبة النبي ﷺ، أن نحب ما يحبه ﷺ ونفعله، ونكره ما يكرهه ﷺ ونجتنبه، ونرضى بما يرضى به، ونسخط مما يسخطه ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ

---

[1] **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكذلك الإيمان بعصمته ﷺ، وتعظيمه وتوقيره، وإجلال جنابه، وتعظيم سنته، وأوامره ونواهيه كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾٩ [الفتح: ٨-٩].

ومن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله الاكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ في كل حين، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٦].

وقال النبي ﷺ: « من صلَّى عليَّ مرةً صلَّى اللهِ عزَّ وجلَّ عليْهِ بِها عشرًا »

أخرجه مسلم[1].

فصلاة الله عليه ﷺ في الملأ الأعلى ثناءٌ وتشريفٌ وتكريم، وصلاتنا عليه، دعاءٌ وسؤال، ومن صلى على النبي ﷺ صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ورفعه عشر درجات، ومحى عنه عشر سيئات.

ومن صلى على النبي ﷺ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ونال بها شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، والصلاة عليه ﷺ سببٌ للقرب منه في الجنة.

ومن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله أن يقتدي المسلمون بالنبي ﷺ في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي عبادته ودعوته، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

ومحبة النبي ﷺ تقتضي طاعته فيما جاء به عن ربه، واتباعه فيما أمر به، أو نهى عنه؛ لأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ومن اتبعه فقد اتبع ما أمر الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

ومن اتبعه ﷺ فقد حقق الشهادة له .

وقد انقسم الناس في محبة النبي ﷺ ثلاثة أقسام:

الأول: من اعتدل في محبة النبي ﷺ فآمن به، ووفاه حقه، وأحبه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، وأحب سنته، وبلغها لغيره، وهؤلاء صفوة الأمة، وهم الصحابة رضي الله عنهم، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فلهم من ربهم الرضوان والجنة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

الثاني: من غلا في محبة النبي ﷺ، فابتدع أمورًا تخالف هديه، ظنًا منهم أنها دليلٌ على محبته، مثل: الاحتفال بمولده، ومدحه ورفعه فوق منزلته، فوقعوا فيما وقع فيه النصارى من الغلو في عيسى ابن مريم ﷺ، فعبدوه من دون الله ﷻ.

وقد حذّر النبي ﷺ أمته من الغلو في مدحه وإطرائه بقوله: « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا : عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

فهؤلاء شغلهم الغلو في محبة النبي ﷺ وإطرائه، عن المقصود الأعظم، وهو الافتداء به، والعمل بسنته، وابلاغ دينه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور: ٦٣].

فهؤلاء على خطر عظيم.

الثالث: من فرط في سنته ﷺ، فكلما خرجت من حياته سنة دخلت مكانها بدعة، وهؤلاء على خطرٍ عظيم كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥].

وكما يجب على المسلم أن يوحد الله بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله؛ فكذلك يجب عليه توحيد الرسول ﷺ بالاتباع، وهو أن نوحد الرسول ﷺ بالاتباع، فلا نتبع إلا إياه، فلا طريق إلا طريق رسول الله ﷺ، لأن طاعته طاعة لله، لأنه المبلغ عن الله، واتباعه اتباع لأمر الله: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

والله سبحانه أمر بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، طاعة مطلقة، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[الأنفال:١] .

وأمر سبحانه بطاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء ولم يأمر باتباعهم، لأنهم غير معصومين، فقد يكونون ظالمين، غير متبعين لهديه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال النبي ﷺ:«لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف» أخرجه البخاري(١).

والطاعة قد تكون عن حبٍ لله ولرسوله ودينه، كطاعات المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقد تكون الطاعة ليست عن حب لله ورسوله، فقد يأتي الإنسان بالطاعة وهو كاره، كحال المنافقين، كما قال الله عنهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤]

أما الاتباع الصادق فلا يكون إلا عن حب صادق، كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والحب الصادق لله ﷻ يصدقه الاتباع الكامل للرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه ﷻ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١].

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٥٧).

والاتباع الكامل يكون في حسن الأداء، وفي طريقة الأداء، في كل ما أمرنا الله ورسوله به، وفي كل ما نهانا الله ورسوله عنه، والكمال في الأداء نعرفه من طريقة الرسول ﷺ في الأداء، لأنه الذي شرعه لنا، وبينه لنا: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧].

فنقتدي بالرسول ﷺ، ونتبعه في كل ما جاء به عن ربه، إلا ما خصه الله به دون أمته، فنتبع النبي ﷺ في ستة أمور:

في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي دعوته وتعليمه، وفي عباداته ومعاملاته، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه العظيمة: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

والتأسي بالنبي ﷺ يتعلق بما تكرهه النفس، وما تكرهه النفس إما بلاء، أو امتحان، أو فتنة .

فإذا فعلنا ما فعله الرسول ﷺ من أوامر، فهذه طاعة: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٢].

وإذا فعلنا ما فعله الرسول ﷺ من حيث حسن الأداء، فهذا اتباع: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

وإذا فعلنا ما فعله الرسول ﷺ من حيث ما تكرهه النفس، فهذا تأسي: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

وربنا ﷻ ربّى رسوله ﷺ، وأعده اعدادًا كاملًا، حتى صار قدوة وأسوة، فالقدوة في كل شيء من الأقوال والأعمال والأخلاق، والأسوة في الشدائد والمكاره .

فهو ﷺ القدوة في كل شيء في الاقوال والأعمال، والأخلاق والآداب، وهو الأسوة في الشدائد والمكاره، فنتأسى به فيما تكرهه النفس، ونقتدي به فيما تحبه النفس.

فالرسول ﷺ أسوة حسنة، لأنه يتصرف عكس ما تشتهيه النفس فيترك النوم الذي تحبه النفس من أجل الله، ويقوم الليل حتى تتورم قدماه، ويعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه .

وهذه أصول مكارم الأخلاق، وكلها شديدة المرارة على النفس، فهو ﷺ على خلق عظيم، كما قال عنه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤]

والاتباع أعم من الطاعة، والاتباع للنبي ﷺ ناتجٌ عن حب لله ورسوله، وقد أمرنا الله سبحانه باتباع رسوله ﷺ بقوله:﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والسنة: هي كل ما جاء عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، وتطلق على كل ما أمر به رسول الله ﷺ ونهى عنه.

والسنة: هي الطريقة المحمودة المستقيمة.

والشريعة: كل ما شرعه الله ورسوله من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح.

فالنجاة والفلاح والفوز في اتباع ما جاء به النبي ﷺ من ربه، والهلاك والخسران في اتباع محدثات الأمور، من البدع والأهواء وغشيان

المحرمات، وفعل الفواحش ما ظهر منها وما بطن: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها حلوها ومرها، وأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس، وقد وقع معظم ما أخبر به النبي ﷺ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال النبي ﷺ:«لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله اليَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : « فَمَنْ ؟ » متفق عليه[1].

فآخر هذه الأمة ستتبع اليهود والنصارى في دينهم إلا من عصم الله، وستتبع أمم الكفر والشرك، كالفرس والروم في دنياها، من أخلاق ذميمة، وبدع محدثة، وعادات فاسدة، إلا من عصم الله، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة كما أخبر النبي ﷺ.

فعلى من أراد السعادة في الدنيا والآخرة أن يلزم عتبة العبودية في كل حال، وأن يتبع الرسول ﷺ في كل ما جاء به عن ربه، وأن يستقيم على أوامر الله، ويجتهد لإقامة الدين في العالم بطريقة النبي ﷺ، حتى يلقى ربه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٦٩).

٥- حقيقة اليقين على شهادة أن محمداً رسول الله

حقيقة اليقين على شهادة أن محمداً رسول الله هي:

الإيمان به ﷺ، وطاعة النبي ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم[١].

ويجب على المسلم أن يعرف الحكم الشرعي فيما يريد أن يفعله قبل أن يفعله، وذلك في جميع شؤون حياته، ومن عمل عملاً لم تأت به الشريعة فعمله باطلٌ ومردود، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم[٢].

واتباع النبي ﷺ يكون باتباع كل ما جاء به من أوامر أو نواهي في القرآن الكريم، والعمل بالسنة التي هي أفعاله وأقواله وتقريراته: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وكل ما تركه النبي ﷺ من جنس العبادات، ولم يفعله مع وجود المقتضي لفعله على عهده، ففعله بدعة، وذلك مثل الاحتفال بالمولد النبوي واحياء ليلة الاسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، ورأس السنة، ونحو ذلك

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

من البدع: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور: ٦٣].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فيهِ فَهُوَ رَدٌّ ». متفق عليه[1].

والأصل في كل ما أمر الله ورسوله به، أو نهى الله ورسوله عنه، التعبد والامتثال، والاذعان والتسليم، دون الالتفات إلى الحكم والمعاني.

فالحكمة الأصل هي أمر الله ورسوله في المأمورات، ونهي الله ورسوله في المنهيات وهذا هو حقيقة التسليم والانقياد: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥].

والعبودية الكاملة أن تكون مسلماً لأمر الله ورسوله، سواء عرفت حكمته، أو لم تعرفها، فاستقم كما أمرت: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة:٧١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٧١٨).

٦- حقوق النبي ﷺ

الإيمان بالله ﷻ يقتضي توحيده ومحبته وطاعته، وتعظيمه وتكبيره، وحمده وشكره، وعبادته وحده لا شريك له، وغير ذلك من الحقوق العظمى الواجبة لله ﷻ، وكذا الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي توحيده بالاتباع، ومحبته، وتصديقه، وطاعته، وغير ذلك من الحقوق الواجبة له ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨ - ٩].

والقيام بحقوق النبي ﷺ هو الركن الأعظم من الدين، بعد أداء حقوق الله ﷻ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال النبي ﷺ: «الدِّيْنُ النَّصِيحَةُ» قلنا: لمن؟ قال: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». أخرجه مسلم[1].

والنصيحة لرسول الله ﷺ تكون بتحقيق الأمور الآتية:

التصديق برسالته ونبوته، والإيمان بكل ما جاء به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع، ونصرته حيًا، ونصرته ميتًا، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، وتعظيمه وتوقيره، وتعظيم سنته، واحياء دينه وطريقته، والصلاة والسلام عليه عند ذكره، وبث دعوته، ونشر شريعته، والتفقه في معانيها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، والدعوة إليها، والذب عنها، والتأدب عند قراءتها، وإعظامها وإجلالها، ونفي التهمة عنها، وعدم الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، وعبادة الله بموجبها: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾[الفتح: ٨-٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب: ٥٦].

ومن حقوقه ﷺ التخلق بأخلاقه الكريمة، والتأدب بآدابه الجميلة، ومحبته ﷺ، ومحبة آل بيته، ومحبة أصحابه، ومجانبة من ابتدع في دينه، وهجر من تعرض لأحد من أصحابه رضي الله عنهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾]التوبة: ١٢٨[.

ومن حقوقه ﷺ الانقياد والتسليم لأمره، وبذل النفوس والأموال دونه في حياته، واحياء سنته بعد موته: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١].

وحقوقه ﷺ كثيرة، والمؤمن حقا من أداها كما جاءت في القرآن والسنة، واتبع نبيه ﷺ في ستة أمور تجمع الحقوق كلها:

اتباعه ﷺ في توحيده وإيمانه، وفي نيته وفكره، وفي دعوته وعبادته، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف: ١٥٨].

٧- نواقض شهادة أن محمداً رسول الله

شهادة أن محمداً رسول الله تنتقض بالوقوع في أحد خمسة أمور:

الاول: نقض شرط من شروط شهادة أن محمداً رسول الله، بعدم الإيمان به ﷺ، أو عدم طاعته فيما أمر، أو عدم تصديقه فيما أخبر، أو عدم اجتناب ما نهى عنه وزجر، أو عدم عبادة الله بما شرع: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥].

الثاني: انكار أمر معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار نبوته ﷺ، أو بشريته، أو أنه خاتم النبيين، أو انكار عموم رسالته للإنس والجن، أو انكار أنه قد بلغ الدين كله، أو انكار أن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع، أو انكار أن له حقوقاً على أمته ونحو ذلك، فمن فعل ذلك فهو كافر، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

الثالث: إيذاء النبي ﷺ بقول أو فعل، سواء كان ذلك في حياته أو بعد مماته، فمن آذاه فهو كافر، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٧].

ومن لعنه الله لا يكون إلا كافرا، لأن من آذى الرسول ﷺ فقد آذى الله، ومن أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾[النساء: ٨٠].

ومن ألوان ايذائه ﷺ الاستهزاء به، أو الطعن في شخصه، أو نسبه، أو صدقه، أو عقله، أو عفته، أو عرضه، أو الطعن في دينه، أو تصغير شأنه ونحو ذلك.

والاستهزاء بالنبي ﷺ سب له، وكفر بالله ورسوله، سواء كان المستهزئ جادًا أو هازلًا، كما قال الله ﷻ عن المنافقين المستهزئين به وبأصحابه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

الرابع: الوقوع في شيء من نواقض الإسلام، فمن اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، ومن أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، ومن استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه، ومن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، والإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، وإنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار وجوب الصلاة والزكاة، أو إنكار تحريم الزنا والربا، أو إنكار شيء من أركان الإسلام والإيمان ونحو ذلك .

فمن فعل شيئاً من هذه النواقض عالمًا متعمدًا مختارًا فهو كافر مرتدٌ عن الإسلام، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

الخامس: الغلو في النبي ﷺ، وهو مجاوزة الحد في تعظيم النبي ﷺ، حتى يصل الأمر إلى صرف شيء من حقوق الله تعالى له، سواء كان من صفات الله كصفة علم الغيب، أو من العبادات كصرف الدعاء، أو النذر، أو الذبح له ﷺ، وهذا هو الشرك بعينه: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٤-٦٦].

ومظاهر الغلو في النبي ﷺ التي يكفر بها العبد ستة، وهي كما يلي:

الأول: دعاؤه ﷺ كأن يقول: يا رسول الله أغثني، أو يا نبي الله اغفر لي، ونحو ذلك، فهذا شرك لأن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله وحده، ومن صرف دعاءه لغير الله فهو ضال مشرك : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الأحقاف: ٥].

الثاني: دعوى الربوبية فيه ﷺ ، كأن يعتقد أنه يخلق، ويرزق، ويشفي، أو يدبر الأمر ونحو ذلك، وهذا شرك ظاهر، وهو من أقبح أنواع الشرك، لأن الله وحده هو المتفرد بالربوبية على خلقه أجمعين: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الثالث: الذبح له ﷺ ، والذبح لغير الله شرك، لأن الذبح عبادة، لا يجوز صرفها إلا لله وحده كما قال سبحانه: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢].

الرابع: النذر له ﷺ، وهذا شرك، لأن النذر عبادة، لا تصرف إلا لله وحده كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧].

الخامس: الطواف حول قبره ﷺ، وهذا شرك، لأن الطواف عبادة، لا يجوز صرفه إلا لله وحده، والطواف الشرعي لا يكون إلا في مكان واحد من الأرض، وهو الطواف بالبيت العتيق في مكة حرسها الله كما قال سبحانه: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩].

السادس: ادعاء أنه ﷺ يعلم الغيب، وهذا شرك في التوحيد، لأن علم الغيب خاص بالله وحده، فمن ادعى أن غير الله يعلم الغيب فهو مشرك: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

اللهم إنا نشهدك، ونشهد جميع خلقك، أن نبينا محمدًا ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه .

اللهم ارزقنا الاستقامة على سنته، والقيام بجهده ﷺ، إلى أن نلقاك يا رب العالمين.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢] .

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

الدواء الثالث

إقــامــة حقيقة الصـلاة

ويشتمل هذا الدواء العظيم على المباحث الآتية:

الأول: حكمة مشروعية الصلاة

الثاني: فضائل الصلاة.

الثالث: مقاصد الصلاة.

الرابع: فقه إقامة حقيقة الصلاة.

الخامس: كيف نصل إلى إقامة حقيقة الصلاة.

الدواء الثالث

إقامة حقيقة الصلاة

١- حكمة مشروعية الصلاة

الصلاة عبادةٌ ذات أقوالٍ وأفعال مخصوصة، مفتتحةٍ بالتكبير، مختتمة بالتسليم، وروحها الخشوع، والتعظيم، والحب لله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾]المؤمنون: ١ - ٢ [.

والصلوات الخمس آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، والصلوات الخمس لأهميتها واجبةٌ على كل مسلم ومسلمة في اليوم والليلة خمس مرات مهما كانت الأحوال: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ ﴾[البقرة: ٢٣٨] .

والصلاة نور، فكما أن النور يستضاء به، فكذلك الصلاة تهدي إلى الصواب، وتمنع من المعاصي، وتنهى عن الفحشاء والمنكر: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلاة صلةٌ بين العبد وربه، وهي عماد الدين، يجد فيها المسلم لذة مناجاة ربه العظيم، فتطيب نفسه، وتقر عينه بربه، ويطمئن قلبه، وينشرح صدره، وينال بها أعظم الثواب من ربه، وبها يرتاح من هموم الدنيا وآلامها: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧] .

والصلاة فيها إعلان توحيد الله، وتقوية الإيمان وتصفيته، بظهوره على القلب واللسان والجوارح : ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾]الحج: ٣٤ - ٣٥[.

والصلاة لها ظاهرٌ يتعلق بالبدن، كالقيام والجلوس، والركوع والسجود وسائر الأقوال والأفعال، ولها باطنٌ يتعلق بالقلب، ويكون بتعظيم الله وتقواه، وتكبيره، وخشيته، ومحبته، وطاعته، وحمده، وشكره، وذل العبد لربه، وخضوعه له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

فالظاهر يتحقق بفعل ما جاء عن النبي ﷺ في صفة الصلاة، والباطن يتحقق بالتوحيد والإيمان، والإخلاص والخشوع:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

والصلاة لها جسدٌ وروح، فجسدها القيام، والركوع، والسجود، والقراءة، وروحها تعظيم الله، ومحبته، وتوحيده، وخشيته، وتقواه وحمده، وسؤاله، واستغفاره، والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله، وعلى عباد الله الصالحين: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٣٨] .

وقد أمر الله ﷻ كل مسلمٍ بعد إقراره بالشهادتين أن يقيد حياته بأربعة أشياء تميزه عن غيره وهي:

الصلاة .. والزكاة .. والصيام .. والحج .

وهذه هي أركان الإسلام، وفي كل منها تمرينٌ لتنفيذ أوامر الله على نفس الإنسان، وماله، وشهوته، وطبيعته، ليقضي حياته حسب أمر الله ورسوله، وحسب ما يحبه الله ورسوله، لا حسب هواه ورغباته .

والمسلم في الصلاة ينفذ أوامر الله على كل عضوٍ من أعضائه، ليتدرب على طاعة الله، وتنفيذ أوامر الله في شؤون حياته كلها، في أخلاقه، ومعاملاته، وطعامه، ولباسه،... وهكذا حتى يكون مطيعًا لربه داخل الصلاة، وخارج الصلاة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾]التوبة: ٧١[.

ولحسن العلاقة بين العبد وربه، وحسن العلاقة بين العبد والخلق، يقرن الله ﷻ دائماً بين إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لأن الدين كله يجمعه حسن العلاقة مع الرب، ومع الخلق: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥].

والصلاة زاجرةٌ عن فعل المنكرات، وسببٌ لتكفير السيئات: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٥] .

وقال النبي ﷺ:«أَرَأَيْتُمْ لَو أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الخَطَايَا». متفق عليه[1].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢٨)، ومسلم برقم (٦٦٧) واللفظ له.

٢- فضائل الصلاة

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

]التوبة: ٧١ - ٧٢[.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ - ١٧].

وقال ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[المؤمنون: ١ - ٣].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ على وَقْتِهَا» قَالَ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَينِ» قَالَ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ» قَالَ: حَدَّثَني بِهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ ، ولَوِ اسْتَزَدْتُّهُ لَزَادَني.

متفق عليه[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى البَرْدَينِ دَخَلَ الجَنَّة». متفق عليه[٢].

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنما قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنما صَلَّى اللَّيلَ كُلَّهُ». أخرجه مسلم[٣].

وعن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: «أَلا أَدلُّكُمْ على مَا يَمْحُو اللهَ بِهِ الخطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالوا بَلى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ على المكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلى المسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». أخرجه مسلم[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أَرَأَيْتُمْ لَو أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الخَطَايَا». متفق عليه[٥].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٨٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٥).
(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٦٥٦).
(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٢٥١).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢٨)، ومسلم برقم (٦٦٧) واللفظ له.

٣- مقاصد الصلاة

من أعظم ثمرات الصلاة أن المؤمن يحصل بالصلاة على الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وأن الصلاة تنهى العبد عن الفحشاء والمنكر، وتذكره بربه العظيم، وإذا ذكر ربه أطاعه ولم يعصه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فالصلاة تبعد المؤمن عن الفواحش والمعاصي والآثام، وتذكره بالله، ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، واستحيا منه ولم يخالف أمره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك: ١٢].

والصلاة كلها ذكرٌ لله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤].

والصلاة رحمة الله التي أهداها لعباده المؤمنين، وأكرمهم بها، لينالوا شرف القرب من ربهم، ليكبروه ويشكروه، ويستغفروه ويسألوه، لا لحاجةٍ منه إليهم، بل منةٌ منه وتفضلًا عليهم أن أذِن لهم بالدخول عليه، وسمح لهم بمناجاته، والوقوف بين يديه، وطلب حوائجهم منه، ولهذا فرضها الله على جميع المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣] .

وقد شرع الله للمؤمنين الطهارة قبل الدخول في الصلاة لمناجاة الرب، فالوضوء ظاهره طهارة البدن والأعضاء، وباطنه طهارة القلب من أوساخ الشرك والذنوب والمعاصي بالتوبة، ولهذا قرن الله تعالى في كتابه بين التوبة

والطهارة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وشرع النبي ﷺ للمؤمن أن يقول بعد فراغه من الوضوء بعد التشهد أن يقول: « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ». أخرجه الترمذي وأبو داود[1].

فالمؤمن بالشهادة يتطهر من الشرك، وبالتوبة يتطهر من الذنوب، وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة .

فشرع الله سبحانه للمؤمن أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله في الصلاة، وكما أنه لا يجوز للمؤمن أن يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها أثناء الصلاة، فكذلك لا يجوز له أن يصرف قلبه عن ربه الى غيره أثناء الصلاة كما قال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

فإذا كبر المؤمن حين دخوله في الصلاة، خلع من قلبه رداء التكبر والعجب المنافي للعبودية، ومنعه التكبير لله من التفات القلب إلى غير الله.

وتمام عبودية الركوع أن يتصاغر الراكع لمن ركع له، بحيث يمحُو تصاغره لربه من قلبه كل تعظيمٍ منه لنفسه أو لخلقه، ويثبت مكانه التعظيم لربه جلَّ جلاله، المتفرد بالربوبية والألوهية والوحدانية، وحده لا شريك له: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

وتمام عبودية السجود أن يتصاغر الساجد لمن سجد له، ويخضع بقلبه وقالبه معلنًا عجزه وفقره وحاجته إلى ربه الملك العزيز الجبار، الغني الحميد، وهذا غاية الذُّل من العبد للرب: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي برقم (٥٥) وأبو داود برقم (١٦٩) .

فبالركوع والسجود يتصاغر العبد أمام ربه الكبير المتعال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

ثم يكبر المصلي، ويجلس بين السجدتين، ويجثو بين يدي ربه يتضرع إليه، ويدعوه ويستغفره، ويسأله رحمته وهدايته ورزقه وعافيته بقوله: « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي ». أخرجه الترمذي وابن ماجة[1].

وجسد الصلاة القيام والقراءة، والركوع والسجود، وروح الصلاة تعظيم الرب، وتكبيره، والخشوع بين يديه، والخشوع: هو الخضوع والتذلل والانكسار والسكون بين يدي الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

والخشوع في الصلاة هو حضور القلب فيها بين يدي الله ﷻ محبةً لله، وإجلالاً له، وخوفًا من عقابه، ورغبةً في ثوابه، مستحضرًا لقربه منه، ورؤيته له، مستحضرًا بقلبه جميع ما يقول ويفعل في صلاته من التكبير إلى التسليم: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وبذلك الخشوع والقنوت تزول عن المصلي جميع الوساوس والأفكار التي يوسوس بها الشيطان للعبد أثناء الصلاة .

والخشوع روح الصلاة، فالصلاة بلا خشوع كبدنٍ لا روح فيه، وأصل الخشوع خشوع القلب الذي هو ملك الأعضاء، فإذا خشع القلب، خشعت معه الجوارح كلها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي برقم (٢٨٤) وابن ماجة برقم (٨٩٨) .

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال النبي ﷺ: « أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ». متفق عليه[1].

فليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، وحضر قلبه فيها.

والصلاة صلةٌ بين العبد وربه، والشيطان يريد أن يقطع هذه الصلة بترك الصلاة، فإن أصر المسلم على الصلاة حال بينه وبين قلبه يوسوس له، ويشغله عن صلاته، حتى يبطلها أو ينقصها: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر: ٦] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا)) ». أخرجه أحمد وأبو داود[2] .

وأسوأ الناس سرقةً الذي يسرق من صلاته، وهو الذي لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾[الماعون: ٤ – ٥]

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت العبد بقلبه أو بصره إلى غيره أعرض الله عنه .

والالتفات اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد، حتى يفسد عليه صلاته، ويحرمه الأنس بربه، ولذة مناجاته، وإجابة دعائه، والفوز بثوابه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾﴾]النساء: ٣٨[.+

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

(2) **صحيح أخرجه أحمد** برقم (١٨٤١٥) وأبو داود برقم (٧٩٦) .

والعبد إذا قام في صلاته بين يدي ربه غارَ منه الشيطان، فهو يجتهد عليه حتى لا يصلي، فإذا قام يصلي أقبل عدو الله حتى يخْطُر بين العبد ونفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يذكره قبل دخوله فيها من الحاجات، ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله ﷻ، حتى يقوم في صلاته قالبًا بلا قلب، ويحرم من بركات الصلاة، فينصرف من صلاته مثلما دخل فيها بذنوبه، وخطاياه، وأوزاره، وأثقاله لم تخفف عنه بالصلاة؛ لأن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها وأقامها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي ربه بقلبه وقالبه، فهذا المصلي إذا انصرف من صلاته وجد خفةً من نفسه، وأحس بأثقالٍ قد وضعت عنه، فوجد راحةً وأُنْسًا ونشاطًا، حتى يتمنَّى أنه لم يخرج من الصلاة، لأنها قرة عينه، وجنة قلبه، فهذه الصلاة هي التي تصعد إلى ربها ولها نورٌ، وتقول لصاحبها: حفظك الله كما حفظتني: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].

وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلِق، ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤ – ٥]

والصلاة المقبولة عند الله أن يصلي العبد صلاةً تليق بربه جلَّ جلاله، فيصلي وقلبه متعلقٌ بالله، ذاكرٌ له على الدوام، ويصلي كما كان يصلي رسول الله ﷺ، ومن قرت عينه بصلاته في الدنيا، قرت عينه بقربه من ربه ﷻ يوم القيامة، ومن صح وضوؤه، صحت صلاته، ومن صحت صلاته، صحت أعماله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

والصلاة غير المقبولة عند الله ﷻ، أن يصلي العبد على العادة والغفلة، وينوي بها التقرب إلى الله، فيصلي وأركانه وجوارحه مشغولةٌ بالطاعة، وقلبه لاهٍ غافل عن ذكر الله، لا يدري ما يقول، حتى لا يذكر ما قرأ في صلاته: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون: ٤ - ٧].

والناس في الصلاة وسائر الأعمال ثلاثة أقسام:

مقتصد، وظالمٌ لنفسه، وسابقٌ بالخيرات، وكلهم في الجنة، لكن درجاتهم مختلفة كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[فاطر: ٣٢ - ٣٣].

وأعظم مقاصد الصلاة:

أن يكون المسلم خارج الصلاة كما هو داخل الصلاة، سامعًا مطيعًا لربه جلَّ جلاله، فيدخل في الصلاة بقلب خاشع لله، حاضرٌ مع الله، ممتثلٌ لأوامر الله، وفي خارج الصلاة يكون مع الأعمال الدنيوية بجسمه، وقلبه خاشعٌ لله.

فمن امتلأ قلبه بالإيمان صلى صلاةً تليق بالرحمن، وتُدْخِل الأنس والسرور في قلب العبد، كما كان يصلي النبي ﷺ وأصحابه الصلاة الحية، المملوءة بحب الله، وتعظيمه، والخشية له، والرهبة منه، والرغبة إليه، والأنس به: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

كانت التكبيرة الواحدة، والركعة الواحدة، والسجدة الواحدة، تأخذ بقلوب النبي ﷺ وأصحابه وأرواحهم، من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، ومن عالم الظلمة إلى عالم النور، ومن عالم الخصومات والوحشة إلى عالم الأنس والرحمة، ومن عالم القلق والحيرة إلى عالم السكون والطمأنينة، ومن عالم الأموال والشهوات إلى عالم الأنبياء والملائكة، ومن عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، ومن الدار الفانية إلى الدار الباقية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

والخشوع في الصلاة داخلٌ في إقامة الصلاة، بل هو روح الصلاة، فمن خشع لله في صلاته، فقد أقام الصلاة، ومن لم يخشع لله في صلاته فليس من المقيمين للصلاة، وكما أننا في كل عملٍ نقوم به نلتزم بشيئين:

التوجه إلى العمل الذي نريد فعله وإتقانه، والغفلة عن الأعمال الأخرى في نفس الوقت، فكذلك إذا كنا في الصلاة نتوجه إلى الله بقلوبنا، ونؤدي أفعال الصلاة بجوارحنا وننقطع عما سوى الله: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

وروح الصلاة الخشوع وطول القنوت: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

٤- فقه إقامة حقيقة الصلاة

كما أن فاتحة الكتاب هي أم القرآن، فكذلك الصلاة هي أُم العبادات، وروح الصلاة الخشوع والحضور بين يدي الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

فمن صلحت صلاته صلحت بقية أعماله، ومن قُبلت صلاته قبل الله بقية أعماله، ولهذا أمر الله بإقامتها ظاهرًا وباطنًا، بخشوعٍ وخضوعٍ وحضور كما قال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلاة شُرعت لإقامةِ ذِكر الله، لأنَّ من ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأخلص له العمل كما قال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤].

ومن أضاع الصلاة فهو لما سواها أضيع، ومن تركها بالكلية فقد كفر، لأنها الركن الثاني من أركان الإسلام، وأعظمُ ركن عملي بعد التوحيد.

قال النبي ﷺ: «إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ». أخرجه مسلم[1].

فحقيقة الصلاة المأمور بها شرعًا أن تنهانا عنِ الفحشاء والمنكر، ونستفيد بها من خزائن الله، وتثمر تكبير الله، والخوف منه، والأنس بمناجاته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٢).

وأكثر المسلمين اليوم يؤدون الصلاة، ولا يقيمون الصلاة كما أمرهم الله، فألسنتهم تكبر الله في الصلاة، وقلوبهم تكبر غير الله في الصلاة، وأجسادهم حاضرةٌ في صفوف الصلاة، وعقولهم تفكرُ وتتجول في أودية الدنيا وملذاتها وشهواتها، وجوارحهم تقف كسلانةً بين يدي الله في الصلاة، وقلوبهم تنتظر الفراغ من الصلاة، لتنطلق مسرعةً إلى أعمالها وأموالها وشهواتها وملذاتها: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾[مريم: ٥٩-٦٠].

فالصلاة بالغفلة لا تزجر عن المعاصي والفواحش، والمنكرات والمحرمات، فالمسلم يصلي ثم يعود لفعل المحرمات .

وبعض المسلمين يصلي ثم يذهب لمكتبه في البنك الربوي، ويصلي ثم يذهب إلى سرقة المال، ويصلي ثم يفعل فاحشة الزنا، ويصلي ثم يأكل حقوق الناس، ويصلي ثم يذهب ليحلق لحيته أو يشرب الخمر، وتصلي المرأة ثم تخرج إلى السوق متبرجة، وتصلي ثم تسافر من غير محرم، وتصلي ثم تغشى المحرمات،... وهكذا دواليك .

فهؤلاء يؤدون الصلاة، ولم يقيموا الصلاة، والمطلوب إقامة الصلاة، لا أداء الصلاة. ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

حقيقة الصلاة الانقطاع عن المخلوق، والاتصال بالخالق، وتكبيره، وتمجيده، وحمده، وسؤاله، واستغفاره، وتقديم التحيات والصلوات والطيبات له جل جلاله.

وكل ذلك في سورة الفاتحة التي هي ركنٌ في كل ركعةٍ من الصلاة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة: ٢ - ٧].

وفي التشهد في الصلاة نقول: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ومقصد الصلاة امتثال أمر الله داخل الصلاة، استعدادًا لامتثال أوامر الله خارج الصلاة والاستفادة من خزائن الله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾[البقرة: ٤٥] .

وعلامة حقيقة الصلاة أن تنهانا صلاتنا عن الفحشاء والمنكر، وتملأ قلوبنا بحب الله وتكبيره وتمجيده، وتذكرنا بالله فنطيعه ولا نعصيه في أي حال، ولهذا فرضها الله خمس صلواتٍ كل يوم وليلة: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾[الإسراء: ٧٨].

وشتان بين إقامة الصلاة، وبين أداء الصلاة، فالمؤمنون حقاً يقيمون الصلاة بين يدي الله، ويستفيدون بها من خزائن الله، والمنافقون يؤدون صورة الصلاة لا حقيقة الصلاة، ولهذا صارت ثقيلة عليهم، كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾[النساء: ١٤٢].

وجميع الأوامر في القرآن والسنة أمرت بإقامة الصلاة لا بأداء الصلاة.

كما قال سبحانه: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾[الحج: ٧٨].

وجميع الأنبياء والرسل أقاموا الصلاة واستفادوا بها من خزائن الله، ولعظمة منافعها، وعظيم أجورها، دعا إبراهيم ﷺ ربه بقوله ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وأمر الله رسوله محمدًا ﷺ بإقامة الصلاة بقوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾ [هود: ١١٤].

وأمره سبحانه أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها بقوله: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ [طه: ١٣٢].

وسر تكرار تكبير الله في الصلاة أن نصغر كل ما سوى الله، ونكبر الله وأوامره، ونقدمها على ما سواها، فالله أكبر، وأوامره أكبر، وكل ما سواه أصغر، ومن ذكر الله كبره، وصغر كل ما سواه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٤٢ ﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

فالقيام في الصلاة تكبيرٌ لله، والركوع تعظيمٌ لله، والسجود تذلل بين يدي الله، ووصولٌ إلى الله، فسله في سجودك ما شئت، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فتذكر بالسجود الأول أنك خلقت من تراب، وتذكر بالسجود الثاني أنك سوف تعود إلى التراب، وتذكر بالجلسة بين السجدتين الدنيا، فاشتغل دائما بما يحب ربك.

فالصلاة أعظم العبادات التي بين العبد وربه، وقد جمع الله فيها أنواع العبادات: كالقنوت والقيام، والركوع والسجود، والتكبير والتعظيم،

والحمد والشكر، والسؤال والاستغفار، والخشوع والخشية، والذكر والدعاء، والتسبيح والاستعانة، والتوبة والإنابة، والذل والافتقار، والطاعة والتسليم، والخوف والرجاء، يتعبد فيها المصلي لله، حال القيام والركوع، وحال السجود والجلوس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾]فاطر: ٢٩[.

فمن استحضر هذه العبادات الكبرى في صلاته فقد أقام الصلاة، وانصرف منها بالقنوت لله، فاز بمغفرة الله، ورحمة الله، والفوز بثواب الله ورضوانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فالصلاة عقد أمان من الرب لعبده إلى وقت الصلاة الأخرى، فكلما صلى العبد كأنه جدد عقد التأمين الذي يطمئن به قلبه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[النساء: ١٠٣].

ولهذا أمرنا الله ﷻ بالمحافظة على الصلوات الخمس، وحضور القلب فيها، لتجديد العلاقة مع الرب، ومغفرة الذنوب المتكررة، والاستفادة بها من خزائن الله، والاستعداد لفعل الأوامر، واجتناب المناهي، خارج الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾[البقرة: ٢٣٨].

وقال النبي ﷺ: « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ». أخرجه مسلم[1].

وقال النبي ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الخَطَايَا». متفق عليه[2].

فحياة المسلم تقوم على أصلين عظيمين، وكلاهما عبادةٌ لله ﷻ:

الأول: حسن العلاقة مع الرب، بإقامة الصلاة بحضور قلب بخشوع وخضوع لله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٤].

والثاني: حسن العلاقة مع الخلق، بإيتاء الزكاة، والإنفاق ابتغاء مرضات الله .

ومن قام بهذا وهذا فاز في الدنيا والآخرة، ونال أعلى الدرجات في الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وإقامة حقيقة الصلاة شاق على النفس إلا على النفس المؤمنة بالله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وإذا قام المسلم بإقامة الصلاة أثمرت له طاقة إيمانية قوية، تسهل له القيام بالعبادات الانفرادية كالذكر والدعاء والنوافل وتلاوة القرآن وغيرها من

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٦٨) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢٨)، ومسلم برقم (٦٦٧) واللفظ له.

الأعمال الصالحة، وتسهل له كذلك القيام بالعبادات الاجتماعية كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى الخلق، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة: ١٥٣].

وسر الصلاة حضور القلب بين يدي الله، وإقباله بكليته على ربه، وقنوته له، والقيام بين يديه بكمال الحب والتعظيم والذُّلِ له: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر: ٩].

والصلاة هدية الله لعباده المؤمنين، وصلةٌ بين العبد وربه، وسببٌ موصلٌ إلى قرب الله ومناجاته، ومحبته والأنس به، والاستفادة من خزائنه: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٣٨].

وما بين كل صلاتين تحصل للعبد الغفلة والجفوة والقسوة، والإعراض والزلات والخطايا، فيبعده ذلك عن ربه، ويحرمه من قربه، ويصير أجنبياً من عبوديته، فأسَرَه عدوه الشيطان، وحبسه في سجن نفسه وهواه، وصار حظه من هذا الإعراض ضيق الصدر، وكثرة الهم، وتراكم الأحزان، وتوالي الحسرات: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الجن: ١٧].

فاقتضت حكمة أرحم الراحمين، أن جعل للعبد من عبوديته عبوديةً خاصة، جامعة لكل خير، ومزيلة لكل هم، ومفرجة لكل كرب، وهي هذه الصلوات الخمس الواجبة على كل مسلمٍ ومسلمة في كل يومٍ وليلة خمس مرات كما قال سبحانه: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

والناس في الصلاة ثلاثة أقسام:

الأول: من استعمل قلبه وعقله وجوارحه فيما خلقت له، وهيئت له، من أنواع العبودية التي شرعها الله ﷻ.

فهؤلاء هم صفوة البشر، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل، ثم من آمن بهم، وهؤلاء هم أربح الناس تجارةً مع ربهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

والصلاة أعظم مقامات العبد بين يدي ربه، شُرعت لاستعمال العبد جوارحه كلها في القيام بهذه العبادة العظيمة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

الثاني: من استعمل عقله وجوارحه فيما لم تخلق له، ولم يخلق لها، فحبسها على الشهوات والمعاصي، والمنكرات والفواحش، فهذا الذي قد خاب سعيه، وخسر تجارته مع ربه، وفاته رضوان ربه، وجزيل ثوابه، وباء بسخط ربه، وأليم عقابه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

الثالث: من عطل عقله وجوارحه عن عبودية الله، وأماتها بالبطالة والعبث، واللهو واللعب، فهذا خسارته أعظم خسارة؛ لأن الله خلق الناس للعبادة

والطاعة، ولم يخلقهم للعبث واللهو، واللعب والبطالة، وأبغض الخلق إلى الله البطال الذي هو لا في مصالح الدنيا، ولا في تجارة الآخرة: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ ﴾ [مريم: ٥٩ - ٦١].

فما أعظم منافع الصلاة فالصلاة معراج المؤمن إلى ربه، والصلاة صلةٌ بين العبد وربه، والصلاة لقاء بين المؤمن وربه، يكبر فيها ربه الكبير، ويحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ويسأله أعظم ما في خزائنه وهو الهداية، ويستغفره من ذنوبه الظاهرة والباطنة، ويقدم له التحيات المباركات على نعمه العظيمة، التي أعظمُها نعمة الإسلام، وإرسال رسوله إلى الناس، ليبين لهم ما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه، ثم الصلاة على النبي ﷺ الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وبلغ للأمة الدين الحق، وبين لهم الدين الحق الذي يعبدون به ربهم، لينالوا رضاه ومحبته وجنته: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلوات الخمس تجب على كل مسلم ومسلمة كل يومٍ وليلة خمس مرات، فكما يحتاج الإنسان لبقاء حياته للطعام والشراب، والراحة والنوم، كل يوم وليلة عدة مرات، كذلك يحتاج لغذاء قلبه وروحه إلى زيادة الإيمان، وإقامة الصلاة كل يومٍ وليلة خمس مرات، يكبر فيها ربه، ويحمده، ويسأله، ويستغفره، ويقدم له التحيات على نعمه العظيمة التي لا تعد ولا تُحصى، ولهذا أمرنا الله ﷻ بالمحافظة عليها كما قال سبحانه: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾[البقرة: ٢٣٨].

والإنسان جسد وروح، فغذاء الجسد من طعام الأرض، وغذاء الروح من السماء من رب العالمين، والوسيلة إلى ذلك الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥].

والنبي ﷺ لما عرج به إلى السماء، فرض الله عليه وعلى أمته هذه الصلوات الخمس التي يلتقي فيها المؤمن بربه، ويمجده، ويحمدُه، ويسأله، ويستغفره، ويقدم له التحيات المباركات، فمن أحب أن يكلم الله فليدخل في الصلاة، ومن أحب أن يكلمه الله فليقرأ القرآن .

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وقد جمع الله فيها للمؤمنين جميع عبادات الملائكة في ركعةٍ واحدة، فالملائكة منهم القائمون أبداً، ومنهم الراكعون أبداً، ومنهم الساجدون أبداً، ومنهم المسبحون أبداً، ومنهم الحامدون أبداً، ومنهم المقدسون أبداً، ومنهم المستغفرون أبداً، ومنهم التاليات ذكراً، فمن رحمة الله بعباده وكرمه أن جمع للمؤمنين هذه العبادات العظيمة كلها في ركعةٍ واحدة من الصلاة: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧].

والصلاة من أعظم مظاهر اجتماع الأمة على الحق، وعلى الأخوة والمحبة الإيمانية، فالأمة تجتمع على صيام رمضان في كل سنةٍ شهراً، وتجتمع في الحج مرةً واحدة في العمر مرة، لكنها في الصلاة تجتمع كل يوم وليلة خمس مرات، توحد الله، وتكبر الله، وتشهد أن لا إله إلا الله، وتشهد أن

محمدًا رسول الله، وتحمد الله، وتمجد الله، وتسأل الله، وتستغفر الله، ولهذا فرضها الله على كل مسلمٍ ومسلمة كل يومٍ وليلة خمس مرات، في أوقاتٍ محدودة، لحاجة كل أحدٍ إليها، ولا تسقط عن أحدٍ بحالٍ من الأحوال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣].

والصلاة كفارةٌ للذنوب والمعاصي، حتى تقف بين يدي الله نقياً من الذنوب، طاهرًا من المعاصي: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

والصلاة عبادةٌ عظيمة بين العبد وربه، يلتقي فيها العبد بالملك فيجيب سبحانه من دعاه، ويعطي من سأله، ويزيد من شكره، ويغفر لمن استغفره، ويهدي من استهداه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

والصلاة هي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.

قال النبي ﷺ: « العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ ».

أخرجه الترمذي والنسائي [1].

والصلاة من أعظم أسباب دخول الجنة كما قال النبي ﷺ «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّة». متفق عليه[2].

والبردان هما الصبح والعصر.

والصلاة صلةٌ بين العبد وربه، فالمؤمن حقاً يقف بين يدي الله، خاشعًا بقلبه وجوارحه، مستحضرا أنه يقف بين يدي ربه الملك العزيز الرحيم بقلبه وجوارحه، منقطعاً عن كل ما سوى الله ﷻ، ويناجي ربه، ناظرًا إلى عزة

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) والنسائي برقم (٤٦٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٥).

الربوبية، وذلة العبودية، وقوف المخلوق بين يدي الخالق، وقوف العبد الضعيف بين يدي ربه القوي، وقوف العبد الفقير بين يدي ربه الغني، وقوف العبد الذليل بين يدي ربه الملك العزيز الرحيم، ويؤدي الصلاة بخشوع وخضوعٍ وحضور قلب كما قال النبي ﷺ: «صَلُّوْا كَمَا رَأَيتُمُوْني أُصَلِّي».

أخرجه البخاري[1].

والصلاة معراج المؤمن إلى ربه، والمؤمنون يشاركون الملائكة في عبادتهم، فالملائكة تعرج إلى ربها بجناحين أو ثلاثة أو أربعة، وكذلك المؤمن في الصلوات الخمس يعرج إلى ربه بركعتين، أو ثلاث، أو أربع، في كل يومٍ وليلة في الصلوات الخمس: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١].

وبإقامة الصلاة كما أقامها النبي ﷺ ينال العبدُ محبة الله ﷻ، ومحبة الرسول ﷺ، وتغفر ذنوبه، وينال بها رحمة الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

وبالخشوع في الصلاة يحصل للعبد الفلاح في الدنيا والآخرة، والفلاح هو النجاة من المرهوب، والفوز بالمرغوب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

ومرافقة النبي ﷺ في الجنة تكون بكثرة السجود لله ﷻ فرضًا ونفلاً.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).

قال النبي ﷺ لربيعة حين سأله عن مرافقته في الجنة، قال له: « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » أخرجه مسلم[1].

والمقصود من الصلاة ذات الخشوع والخضوع كيف يأتي الاستعداد الكامل لامتثال جميع أوامر الله داخل الصلاة، وخارج الصلاة، والاستفادة المباشرة من خزائن الله، فبالصلاة تُقضى الحوائج، ومن مقاصدها الكبرى ارتباط المخلوق بالخالق، وارتباط الفقير بالغني سبحانه، وارتباط الضعيف بالقوي سبحانه، وارتباط العاجز بالقادر جلَّ جلاله: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[البقرة: ٤٥].

ولأهمية الصلاة فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج، ولأهميتها فرضت قبل الصيام والزكاة والحج، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولحاجة كل مسلمٍ ومسلمة إليها فرضها الله خمس مرات في اليوم والليلة، لأنها معراج المؤمن إلى ربه، يناجي بها ربه، ويستعين بها على قضاء حوائجه الدنيوية والأخروية، وأداء وظائفه الشرعية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة: ١٥٣].

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام كما قال النبي ﷺ:« إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلى خَمْسٍ ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البيتِ ». متفق عليه[2].

فالصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، تتمرن فيها الأعضاء والجوارح على ذكر الله، وامتثال أوامر الله، وطاعة الله، وعبادة الله، فالقلب يخشع، واللسان يكبر، والبدن كله يقوم ويجلس، ويركع ويسجد .

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٤٨٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦) واللفظ له.

وبامتثال أوامر الله في الصلاة، يتهيأ المؤمن لامتثال أوامر الله خارج الصلاة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فمن أصلح علاقته مع الله بعبادته وحده، أصلح الله علاقته مع خلقه، فصار يحبهم ويحبونه، فالمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وإذا صلحت صلاة العبد صلحت أعماله، وإذا صلحت أعماله رضي الله عنه، وإذا رضي الله عنه أسعده الله في الدنيا، وأسكنه الجنة في الآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾]الرعد: ٢٩[.

والمؤمن في الصلاة يتوجه بجسده إلى القبلة، ويتوجه بقلبه إلى الله، وكلاهما واجب في كل صلاة: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩].

فنصلي كل صلاة باليقين على أن الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة في الخشوع في الصلاة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ونصلي بطريقة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم.

قال النبي ﷺ: «صَلُّوْا كَمَا رَأَيتُمُوْني أُصَلِّي». أخرجه البخاري[1].

ونقيم الصلاة ظاهرًا وباطنًا، حتى يستجيب الله دعاءنا، ونجتهد في إقامة الصلاة حتى تكون الصلاة محلًّا لقبول الدعاء: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والصلاة أم العبادات، وأول العبادات، وأوجب العبادات بعد الإيمان، وآكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، والصلاة ليست للثواب والأجر فقط، بل فيها جميع المنافع الدنيوية والأخروية .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).

فبالصلاة تقضى الحاجات، وبالصلاة تغفر الذنوب والسيئات، وبالصلاة ترفع الدرجات، وبالصلاة نتقي المعاصي والفواحش والسيئات، وبالصلاة يحصل النصر، وبالصلاة تزول الأمراض والهموم، فنصلي حتى يحصل النصر، ونصلي حتى يحيا ويطمئن القلب: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨-٢٩] .

ونصلي حتى يزول الهم، ونصلي لتغفر ذنوبنا، ونصلي لنشكر الله، ونصلي لنستغفر الله، ونصلي لنقدم التحيات لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

فما أعظم كرم الرب الذي شرع لعباده هذه الصلوات الخمس التي كلها منافع يسعد بها العبد في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾]الأنفال: ٢ - ٤ [.

فأنت أيها المؤمن حينما تصلي إنما تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك كل مرة يفتح له كلما قرع الباب: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦]

والصلاة اتصال العبد بربه العظيم الذي خلقه ورزقه وهداه، فيكبره ويحمده، ويسأله ويستغفره، ويقدم له التحيات المباركات في كل صلاة.

والصلاة سلاح المؤمن الذي ينتصر به على أعدائه، ويتقوى بها على الدعوة إلى الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة: ١٥٣].

والصلاة تمرينٌ على ضبط الجوارح لتستقيم على أوامر الله داخل الصلاة وخارج الصلاة، فإذا صلح البصر داخل الصلاة صلح خارج الصلاة، وإذا صلح السمع داخل الصلاة صلح خارج الصلاة، وإذا صلح اللسان داخل الصلاة صلح خارج الصلاة، وإذا صلح الفكر داخل الصلاة صلح الفكر خارج الصلاة، وإذا حضر القلب داخل الصلاة حضر خارج الصلاة، وإذا صلح البدن داخل الصلاة صلح خارج الصلاة: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ولهذا إذا صلحت الصلاة صلحت سائر الأعمال، وإذا فسدت الصلاة فسدت جميع الأعمال، والصلاة نور، وهي عمود الإسلام، فمن ترك الصلاة فقد كفر بالله، لأنه قطع صلته بالله، واتصل بغير الله، فلا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله، وإن لم تقبل لم يقبل ما سواها.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَلاتُهُ، فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُوْنَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ سَائِرُ الأَعْمَالِ تَجْرِي عَلى حَسَبِ ذَلِكَ». أخرجه النسائي وابن ماجه[1].

ولأهمية الصلاة فرضها الله على نبيه وأمته في السماء بدون واسطة جبريل ﷺ، وقضاء حوائج الناس بالإيمان والأعمال الصالحة لا بالأموال والأشياء، وكان النبي ﷺ إذا لم يجد قوتًا في بيته ما كان يأمر أهله بالكسب،

(١) **صحيح**/ أخرجه النسائي برقم (٥٦٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٤٢٥).

ولكن كان يأمرهم بالصلاة لأن الصلاة أحد مفاتيح أبواب الرزق، كما أمره الله بقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[طه: ١٣٢]

وقال النبي ﷺ: « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ » أخرجه مسلم(١).

فالحمد لله الذي أعطانا الصلاة التي نستفيد بها مباشرةً من قدرة الله، ونأخذ بها من خزائنه، إذا أقمناها على الوجه الصحيح، ظاهرًا وباطنًا، بخشوعٍ وخضوع، فنحسن الوضوء قبل الصلاة، ونكبر الله بألسنتنا وقلوبنا، ونستحضر عظمة الله في قلوبنا أثناء القيام والركوع، والسجود والجلوس، لأن الله يرانا ويسمع كلامنا، ونستغفر الله بعد الصلاة لأننا لم نقم بالصلاة كما يليق بجلال الله ﷻ، ونبكي أمام الله حتى يرزقنا الله حقيقة الصلاة والأنس بالله، فنقيم الصلاة كما صلاها النبي ﷺ ظاهراً وباطناً.

هذا كله إقامة الصلاة من الناحية الفردية.

أما إقامة الصلاة من الناحية الاجتماعية، فهو إشاعتها ونشرها في العالم، حتى لا يبقى فردٌ في العالم لا يصلي: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾]يوسف: ١٠٨[.

ونقيم الصلاة ظاهراً بأركانها وواجباتها، وسننها وآدابها، ونقيم الصلاة باطنًا بالوقوف بين يدي الله قانتين، بالتعظيم والتكبير، والخوف والرجاء، والمحبة والذُّل، ونستحضر أن الله يرانا، ويعلم بما في قلوبنا، وأنه يحب أن يقضي

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٢).

حوائجنا، وأنه قادرٌ على قضاء حوائجنا: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

فلا نصلي بقلبٍ غافل، بل نستحضر أن الله يرانا ويسمعنا في كل ركنٍ من أركان الصلاة، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وكل ما يحتاجه العبد من أمور الدين والدنيا، يطلبه من ربه في صلاته، كما يطلب أهل الدنيا دنياهم بالأسباب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣] .

وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى» أخرجه أبو داود[1] .

وقال ﷺ: « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » أخرجه أحمد والنسائي[2].

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم (١٣١٩).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٢٢٩٣) ، والنسائي برقم (٣٩٤٠)، وهذا لفظه..

٥- كيف نصل إلى إقامة حقيقة الصلاة؟

لن يصل المؤمن إلى حقيقة الصلاة إلا بخمسة أمور:

الأول: اليقين بأن الصلاة فيها الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. كما قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

وفي الأذان ينادي المؤذن الناس بقوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

الثاني: أن نتعلم فضائل الصلاة، ونستحضر ذلك عند كل صلاة، فعند الوضوء نستحضر فضائل الوضوء، وعند المشي إلى المسجد نستحضر فضائل المشي إلى الصلاة في المسجد، وعند الصلاة نستحضر فضائل الصلاة وثوابها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

الثالث: أن نتعلم طريقة النبي ﷺ في صلاته، لقوله ﷺ: «صَلُّوْا كَمَا رَأَيتُمُوْني أُصَلِّي». أخرجه البخاري[1].

فالمسلم يصلي، لأن الله أمره أن يصلي، ويصلي الصلوات الخمس جماعةً؛ لأن الله أمره أن يصليها جماعةً مع المسلمين. كما قال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).

ونصلي كما صلى النبي ﷺ بالقيام، ثم الركوع، ثم السجود في كل ركعة، ونقرأ القرآن حال القيام، ونسبح الله ونعظمه في الركوع، ونسبح الله وندعوه في السجود، ثم نجلس للتشهد، ثم ندعوا، ثم نسلم، فكل مسلم يقوم بإقامة الصلاة بهذا الترتيب، ويصلي لله بحضور قلب، فإن الله يقبل صلاته، ومن خالف ترتيب وطريقة النبي ﷺ في الصلاة فإن صلاته لا تقبل، وهكذا في الصيام والزكاة والحج والذكر والدعاء وسائر الأعمال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فيهِ فَهُوَ رَدٌّ ».متفق عليه[1].

وقال ﷺ: «صَلُّوْا كَمَا رَأَيتُمُوْني أُصَلِّي». أخرجه البخاري[2].

الرابع: الصلاة بصفة الإحسان، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله وجماله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فالصلاة بحضور قلب، واتباعٌ للسنة تقبل، والصلاة مع الغفلة وعدم إقامة أركانها وسننها وواجباتها لا تقبل: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن أضاع الصلاة فهو لما سواها أضيع: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: ٤ – ٥].

الخامس: مجاهدة النفس على إقامة الصلاة بأركانها، وواجباتها، وشروطها، وسننها، وآدابها، وإخلاصها لله ﷻ بأن يتصل العبد حين الصلاة بربه وحده،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣١).

وينقطع عن الخلق بقلبه وقالبه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وعَنْ عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً». متفق عليه[1].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت .

اللهم أعنا على ذكرك، وعلى شكرك، وعلى حسن عبادتك .

اللهم فقهنا في الدين، واجعلنا هداة مهتدين، يا رب العالمين .

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٠).

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

الدواء الرابع

تعلم العلم الإلهي وتعليمه ابتغاء وجه الله عز وجل

ويشتمل هذا الدواء العظيم على المباحث الآتية:

الأول: فضائل العلم الإلهي

الثاني: فقه العلم الإلهي

الثالث: وجوب اقتران العلم الإلهي بذكر الله ﷻ

الرابع: أقسام العلم الإلهي

الخامس: مقاصد العلم الإلهي.

الدواء الرابع

تعلم العلم الإلهي وتعليمه ابتغاء وجه الله عز وجل

١- فضائل العلم الإلهي

العلم الإلهي هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا العلم العظيم أفضل العلوم، وأولها، وأوجبها، وأزكاها، وأحسنها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الله ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

وطلب العلم الإلهي وتعليمه ومدارسته من أفضل العبادات، وفضائله كثيرة، وأجوره عظيمة، ومنافعه جارية على مدى الدهور والأزمان

وفضائل العلم الإلهي كثيرة وقد جاءت في القرآن والسنة، كما قال سبحانه: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

[آل عمران: ٧٩].

والعلم الإلهي يثمر قوة العبادة: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

وخشية الله مقرونة بالعمل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر/ ٢٨].

والعلم الإلهي من أعظم أسباب رفعة الدرجات في الدنيا والآخرة: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾

[المجادلة: ١١]

وقال النبي ﷺ: « مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ،

وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ » متفق عليه.[1]

وقال النبي ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فسَلَّطَه على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورجل آتاه الله الحِكْمَة، فهو يقضي بها ويُعَلِّمَها» متفق عليه.[2].

وقال النبي ﷺ: « من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدينِ » متفق عليه.[3].

وقال النبي ﷺ: «خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ » أخرجه البخاري [4].

وقال النبي ﷺ: « مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنَّةِ » أخرجه مسلم [5].

وقال النبي ﷺ: « مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا » أخرجه مسلم [6].

وقال النبي ﷺ لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه: « لَأَنْ يهديَ اللهُ بكَ رجُلًا واحدًا خيرٌ لكَ مِن أنْ يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ » متفق عليه.[7].

وقال النبي ﷺ: « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له » أخرجه مسلم [8].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث النبوية الواردة في فضل العلم، وتعلّمه ، وتعليمه، والعمل به .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧) .
(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .
(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤) .
(٧) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).
(٨) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١) .

٢- فقه العلم الإلهي

العلم الإلهي الذي يريده الله من عباده، وأنزل به كتبه، وأرسل به رسله؛ هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بوعده ووعيده، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بثوابه وعقابه:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩].

فهذا العلم الإلهي العظيم يُثمر للعبد الإيمان بالله وتوحيده، ومحبة الله وخشيته، وتكبيره وتعظيمه، وخوفه ورجاءه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والفوز برضوانه وجنته، والنجاة من سخطه وناره: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾]فاطر: ٢٨[.

العلم الإلهي الذي يريده الله ﷻ من عباده هو أول ما يُسأل عنه العبد في قبره فيقال له ؛ من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ علم الربوبية، وعلم الألوهية، وعلم الشريعة.

والفنون المادية نحتاج إليها، ونأخذ منها بقدر الحاجة، ونعطي للدين بقدر الطاقة. وهذا العلم الإلهي يتعلق بالقلب، وكل ما سواه من الفنون يتعلق بالعقل، وسبب إعراض المسلمين عن العمل بهذا العلم الإلهي؛ أننا جمعنا بين العلوم الإلهية، والفنون المادية، لأن الأغيار علّموا المسلمين أنه يمكن الجمع بين العلم الإلهي، وفنون التجارة، والصناعة، والزراعة، وغيرها من علوم الدنيا، فأهل الباطل يأتون إلى أهل الحق بطريق الحق ليقبلوه، ويفتنهم الشيطان به، والاشتغال به عن العلم الإلهي، وهذا ما حصل بين المسلمين.

والفنون المادية نحتاج إليها ونأخذ منها بقدر الحاجة، ولا نقدمها على العلم الإلهي، فلا نقدم تجارب المخلوق على علوم الخالق، ولا نقدم الفن على

العلم، والمؤمن يجمع بين العلم والعمل، ويجمع بين علم الفضائل التي ترغّبه في طاعة ربه، وعلم المسائل الذي يصحّح له العبادات والمعاملات.

وحقيقة العمل التي هي ثمرة العلم خشية الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر/ ٢٨].

فالعلم علمان:

علمٌ في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على الإنسان .

وكما نحتاج في الإيمان الى حقيقة الإيمان، كذلك نحتاج في العمل إلى حقيقة العمل، وعلامة الإخلاص هي أن تتأثر قلوبنا بأوامر الله، وتحبها، ونعظمها وتفعلها بالرغبة والمحبة: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾]الحج: ٣٢[.

فيجب على المؤمنين تعلّم العلم الإلهي الذي جاء به محمد ﷺ فقط، وعدم الالتفات إلى ما سواه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

وقد نهى النبي ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ عن قراءة التوراة، وقال له: لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي، فكيف بمطالعة كتب الفلاسفة والملاحدة والكفرة وغيرها؟! ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: ١١٥].

وكيف بمن انشغل بالفنون المادية عن العلوم الإلهية؟: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[الروم: ٦ – ٧] .

وعلماء الشريعة ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، جعلهم الله أواني لعلمه، وفضّلهم بذلك، فعلينا احترام العلماء وتوقيرهم، ولو خالفونا وعارضونا، وبقدر محبتهم وإكرامهم يحصل للأمة الانتفاع بعلمهم، وآدابهم، وأخلاقهم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[المجادلة: ١١]

والعلم الإلهي درجات:

فأعظم العلوم وأزكاها، وأشرفها وأحسنها، وأولها وأوجبها، هو العلم بالله وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

ثم العلم بفضائل الأعمال، والعلم بوعد الله ووعيده، وثوابه وعقابه.

ثم العلم بأحكام الله ودينه وشرعه، ليكون مجموع ذلك دافعًا للعبد لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، رغبةً في ثوابه، وخوفًا من عقابه، ومحبةً له وتعظيمًا له؛ فمن عرف ربه، وعرف دينه، وعرف وعده ووعيده؛ آمن به، ولزم تقواه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

فبالعلم حياة القلوب والأبدان، وبالعلم يبلغ العبد منازل الأبرار، والدرجات العلى في الجنة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[المجادلة: ١١]

وبالعلم الإلهي يُطاع الله ﷻ، وبه يُوحّد، وبه يُعبد، وبه يُمجّد، وبه يُكبّر، وبه يحُمد ويُشكر، وبه يُسأل ويُستَغْفَر :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

وبالعلم الإلهي تحيا السنن، وتزول البدع، ويظهر الحق، ويزول الباطل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾]الجمعة: ٢ [.

وبالعلم الإلهي توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، ويعرف الأحسن من الحسن، والعلم هو الأصل، والعمل فرعٌ له، وثمرةٌ من ثمراته، وعلامةٌ من علاماته..

والعلم بدون عمل وذكرٍ لله يورثُ الكِبر والعُجب، والذكر بدون علم يثمر الخرافات، والبدع، والضلال، والخسران : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٤].

وحقيقة الذكر:

العمل بالعلم الشرعي، وعدم الغفلة عنه، وأداء الفرائض الدينية التي هي أعلى درجات الذكر، والقيام بنُصرة الدين، والجد والاجتهاد في نشر الدين على طريقة النبي ﷺ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ١ – ٣].

وكمال الذكر امتثال أوامر الله في كل وقت وحال :﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تُلهِكُم أَموالُكُم وَلا أَولادُكُم عَن ذِكرِ اللَّهِ وَمَن يَفعَل ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الخاسِرونَ﴾ [المنافقون: ٩] .

وكان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، ليعبد الله بكمال الحب والتعظيم والذل له .

والعلم الإلهي بحرٌ عظيمٌ من النور لا ساحل له، ومفتاحه القراءة، وهي أول عبادة أمر الله بها نبيه ﷺ بقوله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق: ١-٥].

والعلم ثلاثة أشبار؛ فمن نال الشبر الأول منه شمخ بأنفه، وظن أنه ناله!، ومن نال منه الشبر الثاني صغرت إليه نفسه، وعلم أنه لم ينله! وأما الشبر

الثالث فهيهات هيهات لا يناله أحدٌ أبدًا: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

فالشبر الأول من العلم يؤدي إلى الكبر .. والشبر الثاني يؤدي إلى التواضع .. والشبر الثالث يؤدي إلى أن يعلم العبد أنه لا يعلم شيئًا أمام علم الله العليم الخبير..

وعبادة طلب العلم وتعليمه من أعظم العبادات، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالاستزادة منها، فقال سبحانه:﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه:١١٤]

والعلم الإلهي كله نور، ومكانه في بيوت الله، في المساجد: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[النور: ٣٦ – ٣٧].

وفي زماننا هذا أصيب العلم بثلاث آفات:

الأولى: أنه خرج من المسجد إلى المدارس والجامعات، وخُلطت معه العلوم الأخرى فذهب نوره .

الثانية: أنه كان العلم في المسجد على الأرض، أما في المدارس والجامعات فالمعلم والمتعلم يجلسون على الكراسي، فذهب التواضع، وجاء الكبر والعجب ورؤية النفس، في المعلم والمتعلم .

الثالث: أن العلم الإلهي في المساجد يُبْتغى به وجه الله، أما في المدارس فتُطلب به الشهادات، والمناصب، والوظائف الدنيوية، ففقد العلم الإلهي الإخلاص، وقلَّ العمل به، وكل علم بلا نور، ولا تواضع، ولا إخلاص ظلمةٌ على ظلمة على ظلمة:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة/ ٥].

وعلامة العلم الإلهي العمل به، وتعليمه، ونشره في الأمة: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم:٥٢].

والعالم حقًا هو الذي يعمل بما تعلمه من العلم الإلهي، ويعلّمه لغيره من الناس، فيجمع بين طلب العلم الشرعي والعمل به، ونشره بين الناس، كما قال سبحانه: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فالعالم الرباني هو الذي إذا رأيته علمت أنه يخشى الله في أقواله، وأعماله، وأخلاقه، ومعاملاته: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾[فاطر/ ٢٨].

ونعمة العلم فضلٌ من الله على عباده؛ فالعلم من العليم، كما أن الخلق من الخالق، والرزق من الرزاق، والهدى من الهادي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[العلق: ١-٥].

وقال جل جلاله لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾[النساء/ ١١٣].

وهو سبحانه الكريم الذي جعل الأسباب لتحصيل العلم، والترقي في العلم، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾[النحل/ ٧٨].

فننوي دائما التعبد لله بطلب العلم، وتعليمه، والعمل به، لأنه ميراث الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثّوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

٣- وجوب اقتران العلم الإلهي بذكر الله عز وجل

العلم: هو العلم بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله، والعلم بوعده ووعيده، والعلم بدينه وشرعه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

والذكر: هو استحضار عظمة الله ﷻ وكبريائه، وجلاله، وجماله، وكماله، في القلب في كل حال:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف:٢٠٥].

والذكر تنبيه اللسان للقلب ليستحضر عظمة الله، وعظمة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه وعظمة نعمه وإحسانه كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[طه: ١٤].

ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، وأحبه ومجده وعبده وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢-٤].

والذكر كل ما تكلم به اللسان، وتصوّره القلب، مما يقرّب إلى الله ﷻ، من تعلُّم العلم الإلهي وتعليمه، والعمل بموجبه، ونشره: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾] آل عمران: ١٩٠ - ١٩١[.

فذكر الله ﷻ يشمل كل اعتقادٍ، أو فكرٍ، أو عملٍ قلبي، أو عملٍ بدني، أو ثناءٍ على الله ﷻ: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٢].

ومقصد ذكر الله ﷻ الحصول على معية الله سبحانه، كما قال الله في الحديث القدسي : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إذا ذَكَرَنِي » متفق عليه. (١).

ومن مقاصد الذكر مجالسة الرحمن جل جلاله، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي» أخرجه الديلمي والبيهقي. (٢) .

ومن مقاصد الذكر استحضار عظمة الله في القلب، فذكر الله ﷻ يملأ القلب بمحبته، وتعظيمه، وحب عبادته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾]الملك: ١٢[.

ومن كبَّر الله أطاعه ولم يعصه، وبذكر الله في كل حال يخرج من القلب التأثر من المخلوق، ويدخل فيه التأثر من الخالق جل جلاله، والتوجه إلى الله في كل عمل من الأعمال، وفي كل حال من الأحوال.

ومن داوم على ذكر الله رزقه الله محبته، وخشيته، والتعلق به، وإخلاص العمل له، ويجعل له حصنًا من الشيطان ، لأنه في حصن الرحمن، لهذا أوجب الله ذكره في حال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٣ [.

والذكر ثلاثة أنواع:

الأول: ذكر الله بالقلب: وهو استحضار عظمة الله في القلب في كل حال .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

(٢) **صحيح**/ أخرجه الديلمي برقم ( )، والبيهقي برقم ( ).

الثاني: ذكر الله باللسان: وهو التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل .

الثالث: ذكر الله بالجوارح: وهو جميع العبادات العملية .

وأفضل أنواع الذكر ما تواطأ عليه القلب، واللسان، والجوارح، كما في الصلاة فريضة كانت أو نافلة، كما قال سبحانه: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والذكر قرين الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

ومن ذكر الله ذكره، ومن شكر الله زاده، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٢].

ومن مقاصد الذكر النجاة من الخسارة، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون: ٩].

ومن مقاصد الذكر الفوز بثواب الذاكرين، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

والله ﷻ أثنى على الذاكرين لله بقوله :﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران/ ١٩٠ – ١٩١].

وعلامة حقيقة الذكر تعظيم الله ﷻ، وتعظيم شعائره، وتعظيم أوامره، ومحبة الله ﷻ، وطاعة الله ﷻ، وطُمأنينة القلب بذكره، كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨-٢٩].

والإكثار من ذكر الله ﷻ يجلو الغفلة عن القلب، ويملأ القلب بالإيمان، ويدفع العبد إلى الطاعات، ويحجزه عن المعاصي، ولهذا أمر الله به كل مؤمن ومؤمنة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣].

والمداومة على ذكر الله من أعظم العبادات التي يجبها الله من عبده: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل: ٨ – ٩].

ومن آداب ذكر الله ﷻ: الانكسار بين يدي الله ﷻ، وحضور القلب بين يدي الله ﷻ، وخفض الصوت بالذكر، والإخلاص لله ﷻ، وعدم التفات القلب إلى غيره، والذكر بالمأثور بما في الكتاب والسنة، وأن يعقل ما يقول، وأن يقف بين يدي الله ﷻ وقوف العبد بين يدي الملك، وأن يبدأ الذاكر بالاستغفار، ثم بالتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك: ١٢].

وكل عبادة فرضها الله ﷻ جعل لها وقتًا محدودًا، وعذر عباده في غير أوقاتها، إلا الذكر أمر الله به في كل وقت، ولم يجعل له وقتًا مخصوصًا، لأنه أصل الأعمال وروحها، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٢] .

والذكر أعظم العبادات، وهو روحها واصلها، فلا يدخل العبد على الله إلا من باب الذكر، فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته، ويبذل فيه أقصى جهده، لأنه منشور الولاية، ولابد منه في البداية والنهاية، فلا يزال لسانك رطبًا بذكر الله في كل حال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل:٨].

وذكر الله ﷻ زينة اللسان والقلب والجوارح بطاعة الله، وفي فقده تعرضٌ لاشتغال تلك الجوارح بالمعاصي؛ من الغيبة والنميمة، والقيل والقال، وغيرها من الذنوب المهلكة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون:١-٣].

ومن ذكر الله بلسانه، وقلبه غافل، فليستمر عليه، حتى يفتح الله له في ذكر الجَنان، فمن علم الله منه الصدق نقله من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، والله يصطفي من عباده من يشاء، وبذلك يطمئن القلب بذكر الله ﷻ، ويجد حلاوة ذلك في لسانه وقلبه وجوارحه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨] .

٤ - أقسام العلم الإلهي

ينقسم العلم الإلهي حسب نوعه إلى ثلاثة أقسام :

الأول: العلم بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه، والعلم بعظمة نعمه وإحسانه، والعلم بعظمة دينه وشرعه، والعلم بعظمة وعده ووعيده، والعلم بأحوال اليوم الآخر، وكذا العلم بملائكة الله وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

ومن عرف ذلك آمن بالله وحده، وكبره ومجده، وأحبه وأثنى عليه، وحمده وشكره، وسأله واستغفره، وتفانى في طاعته، وفرّ من معصيته، وأخلص العبادة له:: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

الثاني: العلم بفضائل الأعمال:

ليكون ذلك دافعًا للمسلم لامتثال أوامر الله في كل حال، والحذر من جميع المحرمات والمعاصي، فنتعلم فضائل كل عمل، ليكون ذلك باعثًا على أداء العمل بالرغبة والمحبة، والشوق.

وفضائل الأعمال مذكورة في القرآن والسنة، ترغيباً للمؤمنين في الطاعات كما قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾[البقرة/ ٢٥] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْر مِثْلُ أُجورِ منْ تَبِعهُ لاَ ينْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا ، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا » أخرجه مسلم.[١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

الثالث: علم المسائل:

وهو العلم بالأوامر الشرعية، والمناهي الشرعية، والفرائض والسنن، والحلال والحرام، حتى يعبد المسلم ربه على بصيرة، بما جاء عن الله ورسوله، ونتعلم ذلك من العلماء الربانيين الذين اصطفاهم الله، واختارهم لحمل هذا العلم الإلهي: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

فنتعلم مسائل الأحكام، ونعمل بموجبها، لننال ثوابها، ورضوان ربنا: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر:٧].

وطلب العلم الإلهي واجبٌ على كل مسلم ومسلمة، كلٌ بحسبه وقدرته، ليعبد المسلم ربه على بصيرة، وينشر هذا العلم بين الناس.

وطلب العلم الشرعي الذي نصحح به عقيدتنا وعباداتنا، ومعاملاتنا وأخلاقنا، واجبٌ على كل مسلم ومسلمة ليسير إلى ربه على صراط مستقيم.

قال النبي ﷺ:«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » أخرجه ابن ماجة.(١).

وقال النبي ﷺ: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » أخرجه البخاري. (٢).

فبعد معرفة الله ﷻ نتعلم أوامره، فضائل ومسائل، ثم نعبده سبحانه بموجب هذا العلم، لأن العمل فرع العلم، والعمل المقرون بخشبة الله هو المقصود من العلم، وهو أعظم ثمرات العلم الإلهي: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

فإذا أردنا الصلاة؛ نتعلم كيفية صلاة النبي ﷺ، وإذا أردنا الزكاة أو الصوم أو الحج أو العمرة نتعلم سنّة النبي ﷺ، ثم نفعل ذلك، وإذا جاء المال نتعلم

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٢٢٤) والبزار برقم (٦٧٤٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

سنة النبي ﷺ في كيفية كسبه وإنفاقه، وإخراج زكاته ، وإذا جاء الزواج نتعلم ما هي سنة النبي ﷺ في الزواج وهكذا: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

وعلم الشريعة على ثلاثة أقسام :

الأول: فرض عين على جميع الأمة: وهو العلم بالله، ومعرفة الفرائض الشرعية من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍ ونحو ذلك، ومعرفة الحقوق كحق الله، وحق رسوله، وحق الوالدين، والأقارب ونحو ذلك.

الثاني: فرض عين على بعض طبقات الأمة: مثل معرفة مقادير الزكاة على الأغنياء الذين بلغ عندهم النصاب، ومعرفة أحكام التجارة والبيوع، ونحو ذلك، كعلم القضاء والإفتاء.

الثالث: فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، مثل كيفية قسمة المواريث، وكيفية غسل الميت، وتكفينه، وكيفية الأذان، ونحو ذلك. من فروض الكفايات .

والعلم نوعان :

الأول: علمٌ كسبيّ:

ويحصل عليه الإنسان بالاجتهاد والمجاهدة، والمثابرة، والمذاكرة والمدارسة، سواء كان من علوم الدين، أو من علوم الدنيا كعلم الطب والحساب ونحو ذلك .

والعلم الدنيوي كل يوم يزيد ويترقى، كعلم الطيران، وعلم الصناعة، والزراعة، وهذا كله من الله العليم الخبير :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾[النحل/ ٥٣].

وكل يوم يكتشف الإنسان علمًا جديدًا في مجال الصناعة، والتجارة، والزراعة، ووسائل النقل، والطب، ونحو ذلك، أما علوم الدين فقد كمُلَت، ولا يوجد مجال لاكتشاف أمور جديدة أخرى، كما قال ﷻ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ

لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣].

الثاني: العلم الوهبي :

وهو العلم الذي يهبه الله لعباده المتقين، وطريقة تقوى الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾[البقرة: ٢٨٢].

ويسمى هذا العلم اللدنّي، كما قال سبحانه عن الخضر في قصة موسى ﷺ وفتاه ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾﴾[الكهف:٦٥]

والله سبحانه في كل زمان ينصر أهل العلم الإلهي على أهل العلم المادي، كما نصر الله موسى ﷺ بالعلم الإلهي على فرعون صاحب العلم المادي، وكما نصر إبراهيم ﷺ بالعلم الإلهي على النمرود، وكما نصر الله أصحاب محمد ﷺ على الفرس والروم أصحاب العلم المادي: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠- ٤١].

وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم / ٤٧].

ونحن اليوم عندنا صورة العلم الإلهي، وعدونا معه حقيقة العلم المادي، فصورة الأسد يخرِقها الفأر الحقيقي، ولو كان شكله في الصورة مهيبًا .

فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا حقيقة الإيمان والأعمال التي تكون بها نصرة الله على أعداء الله.

فيجب على هذه الأمة تعلم العلم الإلهي الذي به سعادتهم في الدنيا والأخرة.

فإذا عرفنا ربنا أولًا لنعبده، وعرفنا رسولنا ﷺ ثانيًا لنتبعه، وعرفنا ديننا الذي

أكرمنا الله به لنعمل به؛ وجب علينا العمل به والدعوة إلى الله، لأننا نوَّاب الرسول ﷺ في أمته، ويجب علينا الصبر على ما يصيبنا في كل ذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر/ ١ – ٣].

فكل إنسان خاسرٌ في الدنيا والآخرة إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر .

والعالم يجب عليه أن يعمل بعلمه وإلا كان حجةً عليه، وإذا لم يعمل بعلمه ولم ينشر هذا العلم بين الناس كان من الذين يكتمون ما أنزل الله، فاستحق عقوبة الله جل جلاله، لأنه منع الحق عن أهله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠]

والأمة إذا تعلمت العلم الإلهي لغير الدين، وانصرف الناس إلى علوم الدنيا، وتركوا العلم الإلهي، والعمل به، جاء الفساد ثم العذاب، ثم هجم علينا الأعداء، ثم جاءت عقوبة الاستبدال، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ۝٣٨﴾[محمد: ٣٨]

وبذلك تصبح بضاعة العالمِ والمتعلم مجموعة من الأحاديث النظرية، والمجادلات الكلامية، وإضاعة الأوقات فيما لا ينفع:﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[الروم: ٦ – ٧].

فعلينا جميعًا رجالًا ونساءً أن نجتهد لطلب العلم الإلهي ابتغاء وجه الله، والدعوة إلى الله ليلًا ونهارًا، صباحًا ومساءً، حتى نلقى الله ﷻ:﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩﴾[آل عمران/ ٧٩].

فالعبادات لها بعض الأوقات، والدعوة إلى الله لها كل الأوقات: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ

سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨].

والعلم الحقيقي الذي يريده الله: أن نعرف مراد الله في كل وقت، ثم نعمل بموجبه، وإذا طُلب العلم لغير الله نجد عالمًا بالشريعة؛ ولكنه راسبٌ ومقصرٌ في نوافل العبادات، راسب في المعاملات، راسب في الأخلاق، راسبٌ في بر الوالدين راسبٌ في علاقاته بالناس، راسبٌ في علاقته بجاره، راسبٌ في الأمانة، راسبٌ في تجارته، يأكل الحرام ولا يبالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[الصف: ٢ - ٣].

فالعالم حقًا هو الذي يخشى الله، ويعرف كيف يرضي الله ﷻ في كل حال، وفي كل وقت: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر/ ٢٨].

بسبب العلم بالله، وبأوامر الله، تأتي فينا الصفات المحمودة، ونعرف ماذا نقدم وماذا نؤخر، وماذا نأخذ وماذا نعطي، وماذا نفعل وماذا نترك: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾]محمد: ١٩ [.

بسبب العلم الإلهي تأتي في النفوس الرغبة في الإنفاق في سبيل الله:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤]

بسبب العلم الإلهي نؤثِر الناس على انفسنا، كالأنصار الذين قال الله عنهم: ﴿ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٩].

بسبب العلم الإلهي نقدم الواجب على المستحب، والأحسن على الحسن، فالدعوة إلى الله عبادة، وقراءة القرآن عبادة، فنقدم الدعوة، لأنها أوجب وأحسن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

ومؤانسة الأهل والأولاد عبادة، فإذا جاء ضيفٌ نقوم ونستقبل الضيف ونكرمه؛ لأن إكرام الضيف من الإيمان، وإكرام الضيف واجب، ومؤانسة الأهل دين .

وإذا كنت مع ضيفك، وشب حريقٌ في الحي، نقوم مع الضيف على الفور لإطفاء هذا الحريق، وإنقاذ النفوس من الموت، لأنه دين أعلى من دين، فنقدم الأعلى على الأدنى، ومن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدينِ .

والاعتكاف في المسجد دين، وقضاء حوائج الناس دين، وتفريج كُرَبهم دين، ولكن دينٌ مقدمٌ على دين، وقربةٌ أحسن من قربةٌ .

والقيام بالكسب الحلال دين، والخروج في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله دين، ولكن دينٌ مقدمٌ على دين: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾]آل عمران: ١٠٤[.

والاشتغال بنوافل العبادات دين، والقيام بخدمة المجاهدين في سبيل الله وإطعامهم وإكرامهم دين، ولكن دينٌ مقدمٌ على دين، وقربةٌ أحسن من قربة.

فالعلم معرفة الحسن والأحسن من الدين، وتقديم الأحسن على الحسن، والأنفع على النافع، وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

فالله سبحانه واسع عليم: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة: ٢٦٩].

٥- مقاصد العلم الإلهي

مصادر العلم الإلهي أربعة وهي:
القرآن الكريم، والسنة النبوية، وإجماع الأمة، والقياس الصحيح.
ومقاصد العلم الإلهي كثيرة، ومَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .
فإذا تيقن المسلم على لا إله إلا الله، وهي روح العبودية، ثم تيقن على محمدٍ رسول الله وهي طريق العبودية، ثم تذوق لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله بفريضة الصلاة ذات الخشوع والخضوع فلا شك أن نفسه اشتاقت لمعرفة أحكام الدين، حتى تزداد علاقته بربه، وتزداد خشيته لله ويقوى تمسكه بسنة نبيه ﷺ في جميع أحواله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر/ ٢٨].

وأعظم مقاصد العلم الإلهي هي:

الأول: أن تعرف الرب الذي تعبد بأسمائه وصفاته وأفعاله، حتى تحبه وتوحده، وتعظمه وتكبره، وتحمده وتعبده::﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩] .

الثاني: أن تعبد الله على بصيرة بعد معرفته، فمن عبد الله على جهل فكأنما عصاه، ولأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، صوابًا على سنة نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠]

الثالث: أن يعرف العبد الطاعات ليؤديها، وأن يعرف المعاصي ليجتنبها، ويعرف الحلال ليأخذه، ويعرف الحرام ليحذره:﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ

أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾]الحشر: ٧[.

الرابع: أن يعرف العبد السنة من البدعة، والعبادة من العادة، فيعمل بالسنة، ويهجر البدعة: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾]النور: ٦٣[.

الخامس: معرفة السنة النبوية في كل حال، حتى لا نقع في الضلال والفتن والبدع والأهواء ومحدثات الأمور: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧].

السادس: نتعلم العلم الشرعي، ليأتي في قلوبنا الحب والرغبة والشوق لإحياء الدين الكامل في حياتنا، وفي حياة الأمة إلى يوم القيامة: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

السابع: نتعلم العلم الإلهي، لأنه النور الذي يوصلنا إلى الله، وإلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة: ١٥-١٦].

الثامن: نتعلم العلم الإلهي، حتى تأتي في قلوبنا الخشية لله، والخوف من النار، والرغبة في الجنة: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر/ ٢٨].

التاسع: نتعلم العلم الشرعي، لنعرف أحكام الله في العبادات، والمعاملات والمعاشرات، والأخلاق والآداب، لأن العمل فرعُ العلم به: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾]الزمر: ٩[.

العاشر: نتعلم العلم الإلهي، لنعرف ثواب الطاعات، وعقوبات المعاصي، فمن عرف ثواب الطاعات سارع إليها، ومن عرف عقوبات المعاصي ابتعد عنها: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾[النساء:١٣-١٤].

الحادي عشر: نتعلم العلم الشرعي، لنرفع الجهل عن أنفسنا، وعن غيرنا، ونعبد الله على بصيرة بكمال الحب لله والتعظيم له والذلّ له: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾[الزمر/ ٩].

الثاني عشر: نتعلم العلم الإلهي، لأنه من أعظم العبادات التي نتعبد بها لله ﷻ: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

الثالث عشر: نتعلم العلم الشرعي، لأنه يرفعنا إلى أعلى الدرجات إذا قُرن بالعمل به: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾[المجادلة: ١١] .

الرابع عشر: طلب العلم وتعليمه نوعٌ من الجهاد في سبيل الله.

قال النبي ﷺ: « من سلَكَ طريقًا يلتمِسُ عِلمًا، سهَّلَ اللهُ له طريقًا إلى الجنَّةِ» أخرجه مسلم.[1].

الخامس عشر: العلم نورٌ يهتدي به الإنسان إلى ربه، ويخرج من الظلمات إلى النور، ويدعو إلى الله وإلى دينه على بصيرةٍ، ويتعبد به لله ﷻ، وينوّر به قلوب الناس، فالعالِم بين الناس كالشمس والقمر بين النجوم، يهتدي الناس بنورهما في ظلمات البر والبحر: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة: ١٥ - ١٦].

والعلم ميراث الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظٍ وافر من إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والعلم الإلهي تعلمه عبادة، والعمل به عبادة، وتعليمه للناس عبادة .

والعلم يحفظ العبد من خطر البدع والهوى والفتن، والعلم يحرسك من كل ما يضرك، وأما المال فأنت تحرسه، والعلم يزيد بالإنفاق منه، والمال ينقص بالإنفاق منه، ولهذا رغبنا الله في الاستزادة من العلم، فقال سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه:١١٤].

ومن كان بالله أعلم كان له أحب، وله أخوف، وله أعبد: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

والعلم الإلهي من أعظم نعم الله على عباده، كما قال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء/ ١١٣].

والله وملائكته وجميع أهل السماوات والأرض يُصلون على معلم الناس الخير.

والعلم منحةٌ ربانية عظيمة يصطفي الله بها بعض عباده، ويرفع بها درجاتهم في الدنيا والآخرة، بحسب إخلاصهم، وصبرهم، وتقواهم، وتعليمهم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]

والعلماء بالله جل جلاله هم أعظم من شهد لله بالوحدانية بعد الله، وملائكته: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران/ ١٨].

وعلماء الشريعة هم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم والأخذ عنهم كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء: ٥٩] .

فالعلماء الربانيون ولاة أمرنا في تعليم شريعة الله، والحكام ولاة أمرنا في تنفيذ أحكام الله في عباد الله .

فيجب علينا جميعًا أن نتعلم العلم الإلهي الذي يورث تعظيم الله وخشيته، وتمجيده ومحبته، والتواضع والذل له، ويبتغي وجه الله وحده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩] .

٦- آفات طلب العلم

الآفة الأولى: عدم إخلاص النية في طلب العلم؛ فطلب العلم عبادة لله، وصرفها لغير الله يحبط ثوابها، وينزع البركة منها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف:١١٠]

الثانية: ارتكاب المعاصي، فالمعاصي تُذهب نور العلم، وتحرم العالِم من الانتفاع بعلمه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور: ٦٣].

الثالثة: العُجب والتكبر بالعلم على الناس، فالعلم الإلهي يُثمر التواضع لله ﷻ، فلا يجتمع الكِبر والعلم في قلب مؤمن: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۚ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٥ - ١٧].

والكِبر سبب للحرمان من دخول الجنة .

قال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» أخرجه مسلم.[1].

الرابعة: الحسد، والحسد اعتراضٌ على قدر الله في قسمة النعم على الخلق، فليرضَ كل مسلم بما قدر الله له، وكتب له، وقد ذمَّ الله أهل الكتاب الذين

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

حسدوا الأنبياء، كما قال الله سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء:٥٤-٥٥].

وقال النبي ﷺ: « لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا » متفق عليه.[1].

الخامسة : عدم العمل بالعلم .

فالعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل، وقد ذمّ الله الذين يقولون ما لا يفعلون بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة:٤٤].

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف: ٢-٣].

فالعالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب، كما يزل القطر عن الصفا، والعالم إذا لم يعمل بعلمه ضاع علمه، وفقد هيبته في نفوس الخلق، وفقد الناس الثقة به، وسقط من أعينهم، بل سقط قبل ذلك من عين الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف: ٢-٣] .

السادسة: كتمان العلم عن الناس يؤدي إلى نسيانه وذهابه، وحرمان الناس منه، ويوجب لعنة الله لمن كتمه، وقد حذرنا الله من كتمان العلم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥) ومسلم برقم (٢٥٥٩).

ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

السابعة :الجدال والمخاصمة، والطعن في كلام الغير لتحقيرهم، وتنفير الناس عنهم .

قال النبي ﷺ: « أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمَن تَرَكَ المِراءَ وإن كان محِقًّا » أخرجه أبو داود .[1].

فالجدل والمِراء يفتح باب الخصومات، ويغلق أبواب العمل والإفادة والاستفادة.

الثامنة : الانشغال بالدنيا، والتوسّع في ملذاتها، لأن ذلك يجعل العالم يصرف جُلَّ أوقاته لها، وينشغل بذلك عن العلم والعمل به، والتعلم والتعليم، والذكر والتذكير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون:٩] .

التاسعة: النسيان، وعلاج نسيان العلم يكون بكثرة مراجعة العلم، وتعليمه للناس، والعمل بموجبه، وترك أسباب ذهابه كالمعاصي والغفلات والشهوات: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران: ٧٩].

العاشرة: طلب العلم لغير العمل به؛ بل لتحقيق مصالح ومكاسب دنيوية، وأكل الدنيا بالدين، وطلب الوظائف والمناصب والشهرة: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ

---

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم (٤٨٠٠).

مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾]الكهف: ١١٠[.

وقال النبي ﷺ: « إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقْضَى يومَ القيامةِ عليه رجلٌ اسْتُشْهِدَ، فأُتِيَ بهِ، فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعَرَفَها ، قال : فما عمِلْتَ فيها ؟ قال : قاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتَ ، قال : كذبْتَ ، ولكنَّكَ قاتَلْتَ لِيُقالَ جِريءٌ، فقدْ قِيلَ ، ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النارِ ، ورجلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعلَّمَهُ، وقَرَأَ القُرآنَ ، فأُتِيَ بهِ فعَرَّفَهُ نِعمَهُ، فعَرَفَها ، قال : فما عمِلْتَ فيها ؟ قال : تعلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمْتَهُ، وقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ ، قال : كذبْتَ ، ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ عالِمٌ، وقرأْتَ القُرآنَ لِيُقالَ هو قارِئٌ فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النارِ » أخرجه مسلم .[1].

اللهم يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يامن بيده ملكوت كل شيء، يا حي يا قيوم، يا رب العالمين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، ياذا الحلال والإكرام.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا وعملاً صالحاً .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

الدواء الخامس

التعبد لله بمكارم الأخلاق مع كل أحد

ويشتمل هذا الدواء العظيم على المباحث الآتية:

الأول: فقه مكارم الأخلاق

الثاني: أقسام حُسن الخُلق

الثالث: فضائل مكارم الأخلاق

الرابع: الأسباب المعينة على اكتساب مكارم الأخلاق

الخامس: أصول الحياة الإسلامية.

الدواء الخامس

التعبد لله بمكارم الأخلاق مع كل أحد

١- فقه مكارم الأخلاق

الكرم يُطلق على كل ما يحُمد من الأقوال الحسنة، والأفعال الجميلة، وأنواع الخير والجود، والعطاء والإنفاق: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤] .

والكرم من أعظم صفات الله ﷻ؛ فهو الكريم الأكرم الذي تفرّد بالملك والغنى، والجود والإحسان، وتوحّد بالعظمة والثناء، واختص بالجلال والجمال، والملك والسلطان: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله سبحانه هو الملك الكريم الرحيم؛ أنعم على كل من أطاعه وعصاه، ورحم كل من آمن به، أو كفر به: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه؟، وما أعظم غناه؟، وما أعظم كرمه؟.

يداه جل جلاله مبسوطتان بالخيرات، وله خزائن الأرض والسماوات، لا ينازعه أحدٌ في قسمة رزقه، ولا يعترض عليه أحدٌ في تدبير خلقه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١].

هو الكريم الذي إذا أطاعه العبد ضاعف له الأجر، وإذا عصاه غفر له الذنب، وإذا شكره العبد زاده من فضله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر: ٣٤].

هو الكريم الذي لا يضيّع من لجأ إليه، ولا يحرم من توكل عليه، ولا يخاف من لاذ بحماه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الكريم الذي تكرّم على عباده بأنواع النعم، وأمرهم بالكرم وبذل المال ليكرمهم بصفة من صفاته، ونهاهم عن الشح والبخل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۚ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

والكرم أصل المحاسن كلها؛ فالمؤمن كريمٌ بنفسه، كريمٌ بأقواله، كريمٌ بأفعاله، كريمٌ بأخلاقه، كريمٌ بأمواله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام من الإنسان والحيوان.

ومقصود الإكرام الأعظم تحقيق الألفة والمحبة والمودة بين المسلمين، فيكرم بعضنا بعضًا لتأتي الألفة والمحبة بين المسلمين، وتتحقق الأخوة الإيمانية بينهم، وتصلح المعاملات والمعاشرات والأخلاق فيما بينهم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وبحسن الخلق، وأداء الحقوق، وصلة الأرحام، والإصلاح بين الناس، والإحسان إلى الناس، والعفو عنهم، وتحمل الأذى منهم، والرحمة لهم، وكف الأذى عنهم، والصبر على أذاهم؛ تحصل المحبة والألفة بين الناس، وينفع بعضهم بعضًا، ويقبل بعضهم بعضًا، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وأحسن ما يكرم به الخلق الدعوة إلى الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٣ – ٣٥] .

ومن مقاصد الإكرام حفظ الأعمال والحسنات من أن يأخذها أحد .

قال النبي ﷺ : « أتدرون ما المفلِسُ؟ قالوا: المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال: إنَّ المفلسَ من أمَّتي، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا. فيُعطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه. فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يقضيَ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه ثمَّ طُرِح في النَّارِ» أخرجه مسلم[1].

وعلامة الإكرام احترام الناس، وتوقيرهم، والنصح لهم، وحب الإنفاق عليهم، والإحسان إليهم، وأداء الحقوق لأهلها، وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١) .

ومراتب الإكرام:

كف الأذى، وبذل الندى، والعدل، والإحسان، والإكرام، والإيثار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠] .

فنؤدي حقوق الناس التي علينا، ونطلب حقوقنا منهم بلطف ولين، فإن لم تأتِ! سألناها من ربنا ﷻ.

قال النبي ﷺ : « إنَّها ستَكُونُ منْ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونهَا، قَالُوا: يَا رسُولَ اللهَّ، كَيفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذلكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وتَسْأَلُونَ اللهَّ الذي لَكُمْ » متفق عليه. (١).

وكثيرٌ من الناس اليوم يطلب جميع حقه، ولا يؤدي الحق الذي عليه على كافة المستويات؛ على مستوى الفرد، والاسرة، والأمة، فالمحكوم يطلب حقه، والناس يريدون أخذ جميع حقوقهم، ولا يؤدون الحقوق التي عليهم للحاكم، والجار يريد أخذ حقه من جاره، ولا يؤدي الحقوق التي عليه له، والزوج يريد أخذ جميع حقوقه من زوجته، ولا يؤدي حقوق زوجته، والزوجة تريد أخذ جميع حقوقها من زوجها، ولا تؤدي حقوق زوجها عليها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

والدين كله حقوق لك، وحقوق عليك!

وإذا قمنا بالدعوة إلى الله زاد الإيمان، وحسُنت الأعمال، وجاءت الألفة والمحبة بين الناس، وأدى المسلم الحقوق التي عليه، وبذلك تتحقق الأخوة

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٢)، ومسلم برقم (١٨٤٣).

والمحبة الإيمانية بين أفراد الأمة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وأكرم الخلق هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من آمن بهم، وأكرم الخلق على الإطلاق سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ ؛ فقد كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويعمل بأحكامه، فهو كما قال عنه ربه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

وقال أنس رضي الله عنه: « كان النبي ﷺ أحسنَ الناسِ ، و أجودَ الناسِ ، و أشجعَ الناسِ » متفق عليه. (١).

والكرم والتضحية بينهما ارتباط وثيق؛ فالمجاهد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله يجود بنفسه، وهذا غاية الجود، والكريم الباسط يده في أبواب البر والإحسان يجود بماله كما يجود المجاهد بنفسه، وهذه أعظم صفات الأنبياء والصحابة: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات: ١٥] .

والله ﷻ استخدم العرب للدين؛ وبعث منهم رسول الله ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين، لأن فيهم ثلاث صفات: الكرم .. والشجاعة .. والصدق، وتلك صفات يحبها الله ﷻ.

والإكرام بالقول والفعل من أعظم صفات المسلم التي تؤلف بين القلوب، وتثمر الألفة، والمحبة، والمودة وبالإكرام تحيا المعاشرات الإسلامية، والأخلاق النبوية: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٧).

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

ومكارم الأخلاق عطايا من الله لعباده، يضعها الله حيث يشاء: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٤] .

وحسن الخلق هو طلاقة الوجه، ولين الكلام، وكفُّ الأذى، وبذل الندى .

وحسن الخلق يثمر الألفة والمحبة والمودة بين الناس: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] .

وعلامة حسن الخلق مقابلة السيئة بالحسنة، والصبر على الأذى، وذلك من أعظم العطايا، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥] .

فنكرم كل مسلم مهما كانت أحواله، لأنه من أمة النبي ﷺ ، ونتواضع لكل مسلم، ونخفض له الجناح: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٥].

فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، وواجبنا نحو الغريق إنقاذه، والأخذ بيده، وستر زلته: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾]آل عمران: ١٠٣[.

والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال النبي ﷺ : « المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يكْذِبه، ولا يحْقِرُهُ. التَّقْوَى هاهُنا. ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ. كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ » أخرجه مسلم [1].

فنتعبد لله بمكارم الأخلاق مع كل أحد: المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والبَر والفاجر، والصديق والعدو؛ لنؤلف بين القلوب، ونجمعهم على الحق، ونتعاون وإياهم على البر والتقوى، وإبلاغ هذا الدين لكافة أهل الأرض: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقال النبي ﷺ : « إنما بُعِثتُ لأُتمِّمَ مكارِمَ الأخْلاقِ». وفي رواية: «صالِحَ الأخْلاقِ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد [2].

وجواهر الأخلاق مع الناس ثلاث وهي:

العدل، والإحسان ، والإيثار

فالعدل هو الإنصاف ، وهو أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكرهه لنفسك ابتغاء وجه الله.

والإحسان أن تحسن إلى غيرك بما تجود به نفسك من مال أو متاع أو نصح ابتغاء وجه الله.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١) .

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩) والبخاري في الأدب برقم (٢٧٣) .

والإيثار أن تؤثر غيرك على نفسك بالمال أو المتاع أو المكان مما فعل الأنصار، ابتغاء وجه الله.

فالدرجة الأولى العدل، وأعلى منها الإحسان، وأعلى منهما الإيثار: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾]النحل: ٩٠[

وأصول الأخلاق التي يجب أن يتزين بها الخلق أربع وهي:

أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك وهذه الأصول الأربعة شديدة المرارة، عظيمة الأجر، ولهذا أمر الله سبحانه بالمسارعة إليها كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾]آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤[.

فتزين بتلك الأخلاق العظيمة بين الخلق، ابتغاء وجه الله، يحبك الله، ويحبك الخلق، وتسعد في الدنيا والآخرة، وتشعر بالمحبة والأخوة الإيمانية: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة: ٧١].

٢- أقسام حُسن الخُلق

حسن الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: حسن الخلق مع الخالق جل جلاله.

ويكون ذلك بتوحيد الله، والإيمان به، وطاعته، وعبادته وحده لا شريك له، ومحبته وتمجيده، والثناء عليه، وحمده وشكره، وسؤاله، واستغفاره، والتوكل عليه، والاستعانة به، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والإيمان برسله، والتخلّق بأخلاقهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

الثاني: حسن الخلق مع رسول الله ﷺ:

ويكون ذلك بالإيمان بأنه رسول الله، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وألا نعبد الله إلا بما شرع، ومحبته ﷺ، وتوقيره، وطاعته: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

فيجب علينا الإيمان برسول الله ﷺ ، واتباعه في كل ما جاء به عن ربه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

[الأعراف: ١٥٨] .

الثالث :حسن الخُلق مع الخَلق:

ويكون ذلك بالتعبد لله بالتحلي بمكارم الأخلاق؛ من بذل الندى، وكف الأذى، والإيثار، وبشاشة الوجه، وإفشاء السلام، والإحسان بالقول والفعل، وأن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكظم الغيظ، والصبر على الأذى، والعفو عن الناس: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

ومن حسن الخُلق مع الخَلق:

بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان الى الجيران، واليتامى، والفقراء والمحتاجين، وغيرهم، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء:٣٦] .

ومن حسن الخُلق مع الخَلق إكرام الناس، وإنزالهم منازلهم، وتوقير الكبار، واللطف بالصغار، وإعانة الضعيف، وحسن الظن بالناس، وحب الخير للناس، وأداء الأمانات، والصدق في الحديث، والوفاء بالعهود، وأداء الحقوق، واجتناب اللعن والسب، والغيبة والنميمة، واجتناب كثرة الضحك، وسوء الظن، والحسد والخيانة، والكذب والكبر، والاستهزاء بالناس، والسخرية بهم، فهذه أصول الأخلاق التي تثمر المحبة والمودة بين الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ

ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١١-١٣] .

ومن أعظم مكارم الأخلاق رحمة الخلق، واللطف بهم، واللين لهم، والرفق بهم، والعفو عن زلاتهم، وتوقيرهم، واحترامهم، وحسن معاشرتهم، وذلك من أعظم أسباب اجتماع قلوبهم على الإيمان والتقوى، والخير والإحسان: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

ومن أعظم أنواع الإحسان إلى الخلق، دعوتهم إلى الله، وتعليمهم شرع الله، ليعبدوا الله وحده، فيسعدوا في الدنيا، ويدخلوا الجنة في الآخرة: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣] .

وبالدعوة إلى الله شرف الله جميع الأمة رجالاً ونساءً إلى يوم القيامة: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وقال النبي ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لمَِنْ يَا رسولَ الله؟ قالَ: للهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ، ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ » أخرجه مسلم [1].

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥) .

٣- فضائل مكارم الأخلاق

الأولى: الأخلاق الحسنة من أعظم أسباب دخول الجنة، ومغفرة الذنوب:
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

وقال النبي ﷺ :" « أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمَن تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمَن حَسُنَ خُلُقُه » أخرجه أبو داود [١].

وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ : « ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسَ الجنةَ؟ قال : تقوَى الله ، وحُسْنُ الخُلُقِ» أخرجه أحمد والترمذي [٢].

الثانية: الأخلاق الحسنة سببٌ في محبة الله للعبد:

وذلك مثل الصبر والصدق، والإحسان، والإيثار، والرحمة، والعفو، والحلم، والرفق وغيرها من الصفات التي يحبها الله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

الثالثة: الأخلاق الحسنة من أسباب محبة الرسول ﷺ للعبد:

قال النبي ﷺ: « إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا » أخرجه الترمذي [٣].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٨٠٠) .
(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٩٦٩٤) والترمذي برقم (٢٠٠٤).
(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٠١٨) .

الرابعة: الأخلاق الحسنة تضاعف الأجر والثواب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥] .

وقال النبي ﷺ : «إنَّ المؤمن لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرجة الصائم القائم» أخرجه أبو داود [١].

الخامسة: الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان

قال النبي ﷺ : « أكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا، وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم » أخرجه أحمد والترمذي [٢].

السادسة: الأخلاق الحسنة من أعظم أسباب الإلفة والمحبة، والتعاون على البر والتقوى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران: ١٥٩].

السابعة: الأخلاق الحسنة من أعظم أسباب الأمن والطمأنينة بين الناس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨) .

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢-٤٧٢)، والترمذي برقم (١١٦٢) .

٤- الأسباب المعينة على اكتساب مكارم الأخلاق

الأول: سلامة العقيدة:

فسلوك الإنسان ثمرة لما يحمله من فكرٍ ومعتقدٍ سليم.

فالعقيدة هي الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، لأن الإيمان يحمل صاحبه على التحلي بمكارم الأخلاق، ويردعه عن مساوئ الأخلاق.

قال النبي ﷺ: « أكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا، وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم » أخرجه أبو داود والترمذي [1].

الثاني: المحافظة على العبادات:

فإقامة الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتُذكر بالله، ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، والزكاة غرسٌ لمشاعر الحنان والرحمة والرأفة بين طبقات الأمة، والصوم ضبط للنفس، وتدريبٌ لها على الحذر من الشهوات المحظورة، والنزوات المنكورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والحج تدريبٌ عملي على مكارم الأخلاق من الصبر والصدق، والرحمة والإيثار: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ [البقرة:١٩٧].

---

[1] صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٦٨٢)، والترمذي برقم (١١٦٢) .

الثالث: تدبر القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم كتاب الإيمان، وكتاب التوحيد، وكتاب الهداية، وكتاب الدعوة، وكتاب الأخلاق والآداب: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

فالقرآن الكريم كتاب عظيم، فيه كل ما يسعد الخلق في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٠ ﴾ [الإسراء: ٩-١٠] .

الرابع: الدعاء:

والدعاء باب عظيم إذا فُتح للعبد نزلت عليه من ربه أنواع الخيرات والبركات في كل وقت، فمن رغب في مكارم الأخلاق، وأراد أن يتخلى عن مساوئها، فعليه أن يلجأ إلى ربه بالدعاء في كل وقت: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

ومن دعاء النبي ﷺ : « وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» أخرجه مسلم [1].

الخامسة: قوة المجاهدة:

لأن الخُلق الحسن نوعٌ من الهداية يحصل عليه العبد بالمجاهدة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّما العلمُ بِالتَّعَلُّمِ، و إِنَّما الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، ومَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، ومَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ» .. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة [1].

السادس: التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق:

فإن معرفة ثمرات مكارم الأخلاق من أكبر الدواعي إلى فعلها والتجمل بها بين الناس: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

السابع: النظر في حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما هم عليه من مكارم الأخلاق، وجميل الصفات، للاقتداء بهم، والتجمل بأخلاقهم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الثامن: الصبر :

والصبر من أعظم مكارم الأخلاق؛ لأنه يحمل العبد على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، وترك الطيش، ويحمل على الحلم، والرفق، والأناة، ابتغاء وجه الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

---

[1] صحيح/ أخرجه الألباني برقم (٣٤٢) .

التاسع: مصاحبة الأخيار، ومفارقة الأشرار.

فالصاحب ساحب إلى خيرٍ أو شرٍ، فصحبة الأخيار مدرسة يستعين بها المؤمن على حسن الخلق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

وقال النبي ﷺ : « الرَّجُلُ على دِينِ خليلِهِ؛ فلينظُرْ أحَدُكم مَن يخالِلُ» ..

أخرجه أبو داود والترمذي [1].

العاشر: أن يتفكر العبد في الآثار المترتبة على سوء الخلق.

فصاحب الخلق السيئ ممقوت بين الناس، مهجور بينهم، مذكور بالذكر القبيح بينهم .

فإذا عرف المؤمن ذلك ابتعد عن الخلق السيئ، ولزم الخلق الحسن: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥] .

الحادي عشر: القيام بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والدعوة إلى الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

الثاني عشر: لزوم البيئات الإيمانية التي تذكّر بالله واليوم الآخر: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ

---

[1] صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٨٣٣)، والترمذي برقم (٢٣٧٨) .

عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

الثالث عشر: علو الهمة إلى معالي الأمور.

فمن علت همته اتصف بكل خلق جميل، فالنفوس الشريفة لا ترضى إلا بأحسن الأخلاق، وأكملها، وأحمدها، وأحسنها، فلا ترضى بالظلم، ولا الكذب، ولا الخيانة، ولا السرقة، ولا الفواحش، لأنها أكبر من ذلك وأجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

الرابع عشر: الحرص على أن يكون المؤمن قدوة حسنة لغيره في أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، وآدابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

الخامس عشر: إدامة النظر في سير الصحابة الكرام، وأهل الفضل والإحسان من المؤمنين: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

٥- أصول الحياة الإسلامية

الحياة الإسلامية تقوم على خمسة أصول:

الأول: تصحيح الاعتقاد:

بتحقيق اليقين على شهادة أن "لا إله إلا الله"، وتحقيق كمال الاتباع لرسول الله ﷺ ، وتحقيق اليقين على كتاب الله ﷻ، وترك سائر العلوم التي تخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦] .

الثاني: تصحيح العبادات:

بأدائها بكمال الإخلاص، وحسن المتابعة، حتى نعبد الله على بصيرة.

سواء كانت العبادات مالية: كالزكاة، والصدقات، والهدية، فنبذل من خلال ذلك المال، حتى يخرج حب المال من قلوبنا، ويبقى فيها حب الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٤] .

أو كانت العبادات بدنية: كالصلاة والصيام، والحج، ونبذل في ذلك النفس، ليخرج حب الشهوات من نفوسنا، وتمتلئ بحب الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤] .

الثالث: تصحيح المعاملات:

وهي تصحيح العلاقات بين الناس، لأن المعاملات هي وجه العملة الآخر، والعبادات الوجه الآخر، لأن العبادات إصلاحٌ للداخل، والمعاملات إصلاحٌ للخارج، والعبادات إصلاح علاقة العبد بربه، والمعاملات إصلاح علاقة العبد مع خلقه، وتصحيح المعاملات بين الناس يكون بإعطاء الناس حقوقهم، وكف الأذى عنهم، والإحسان إليهم، والعفو عنهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالدين يدخل في حياة الناس عن طريق العبادات، ويخرج الدين من حياة الناس عن طريق المعاملات، فعلى المؤمن الذي يتقي الله في العبادات أن يتقيه كذلك في المعاملات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

الرابع: تصحيح المعاشرات:

وهي الكف عن أذى الناس كأنهم أسرته، فيكون المؤمن سمحًا لينًا مع الناس، سهل العشرة، فعلى معاشرات المهاجرين والأنصار قام الدين، واجتمعت الأمة على الإيمان بعد أن فرقهم الكفر والعصبية والجاهلية: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران:١٠٣].

وكانت معاشرات المهاجرين والأنصار تقوم على العدل والإحسان، والإيثار والبساطة، والحياء والرحمة والسماحة، والتواضع، حتى قال الله

فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

الخامس: تصحيح الأخلاق:

وذلك بالأخذ بمكارم الأخلاق التي تجمع القلوب على المحبة والأخوة، والرحمة والمودة، ويكون ذلك بالإكرام والإحسان، والرحمة والمحبة، والصبر على أذى الناس: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥].

وبهذه الصفات والأخلاق الكريمة تكونت الأمة في عهد النبي ﷺ، وكانت خير أمة عرفتها البشرية منذ عهد آدم ﷺ.

ولما تكونت الأمة قام الجميع بالدعوة إلى الله بمكارم الأخلاق، فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وتوفي النبي ﷺ بعد أن أكمل الله به الدين، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر:١-٣].

فلما امتلأت قلوب الصحابة رضي الله عنهم بالإيمان، وحب الله ورسوله والمؤمنين، وحب الدين، تكونت الأمة التي حملت الدين للعالم بمكارم الأخلاق، كما قال الله عنهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وبهذه الصفات العظيمة رضي الله عن الصحابة، ورضوا عنه، وكانوا خير أمةٍ أخرجت للناس بعد أن كانوا شر أمة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

فلما تذوَّق الصحابة حلاوة الإيمان، ووجدوا حقيقة الإيمان، بذلوا كل شيءٍ من أجله، وما كان منهم شخصٌ واحد يتحمس أو يتعصب لأسرته، أو قبيلته، أو قومه، أو وطنه، أو لسانه، أو عشيرته، وما كان يلتفت إلى المال والعقار، ولا إلى الأهل والأولاد، بل كل واحدٍ من الصحابة وضع نفسه وماله لإعلاء كلمة الله في الأرض: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

وشعر المؤمنون بحقيقة الأخوة الإيمانية، فتحابوا فيما بينهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾]التوبة: ٧١[.

وقد فطن الأعداء لهذا، فمزقوا أمة الإسلام، وفرقوها دويلات متطاحنة، وجاء اليهود والنصارى فأفسدوا دين الأمة، وأفسدوا أخلاقها، واستولوا على ديارها، ونهبوا أموالها، وتحكموا في حياتها، وذلك كله بسبب ترك الدعوة إلى الله!.

فاليوم يُضرب المسلمون ويُقتلون في كل مكان، لأنهم فقدوا صورتهم الحقيقية التي يريدها الله لهم كأمةٍ ربها واحد، ودينها واحد، ورسولها واحد، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤- ١٠٥].

وتتكون الأمة الإسلامية حينما تجتمع كلها على الإيمان فقط، والجهد الذي قام به النبي ﷺ وأصحابه، وهو الدعوة إلى الله: ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾[التوبة: ٨٨-٨٩].

تتكون الأمة بالتضحية بالنفس والمال والوقت من أجل جمع الأمة على الحق.

وللّسان أكبر دورٍ في تكوين الأمة أو تمزيقها، فرُبَّ كلمةٍ طيبةٍ جمعت الأمة، ورُبَّ كلمةٍ سيئة مزقت الأمة، وفرقتها شيعًا وأحزابًا: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾]النحل: ١١٦ - ١١٧ [وقال النبي ﷺ : « مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَصْمُتْ»، متفق عليه [1].

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة دخل الأنصار في الإسلام، وتلاشت العداوة التي كانت بين الأوس والخزرج، وكانوا فيما بينهم كالبنيان يشد

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥)، ومسلم برقم (٤٧) .

بعضه بعضًا، ففطن اليهود لذلك، وكرهوا اجتماعهم على الحق والإيمان، ففكروا في التفريق بينهم، كما فرقوهم فيما قبل، فمرَّ شاس ابن قيس اليهودي في جمعٍ من الأوس والخزرج يتذاكرون فيه نعمة الإسلام، وغاظه ما رأى منهم، فأمر فتىً من اليهود أن يذكرهم بيوم بُعاث، وما قيل فيه من الأشعار، ففعل ذلك، وكاد القوم أن يقتتلوا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه، وقال لهم: (الله الله أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم! أبعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وألّف بين قلوبكم ترجعون كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض) متفق عليه[1].

فعرف القوم أنها نزغةٌ من الشيطان، وكيدٌ من عدوهم يهود، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم يهود، وأنزل الله فيهم قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٥] .

فحتى لا نقع في حبائل الشيطان، نقوم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ ففي هذا وحده الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلۡتَكُن

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٥١٨)، ومسلم برقم (٢٥٨٤) .

مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وكل أعمال الدين لتوحيد المسلمين، وعبادة رب العالمين، ففي الإيمان وحدة، وفي التوحيد وحدة، وفي الصلوات الخمس وحدة، وفي الصيام وحدة، وفي الحج وحدة، وفي الزكاة وحدة لجميع الناس من جميع الطبقات، والأقوام، والقبائل، والجنسيات، والبلدان، والألوان، واللغات: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وكذلك الاجتماع في حلقات التعليم، والأعياد، وإكرام المسلمين، وحسن الخلق؛ كل هذه أسبابٌ تجمع الأمة على الحق، وتبيّض وجوه المؤمنين في الجنة، وتؤلف قلوبهم على الإيمان: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة:٧١] .

وعكس هذا الغيبة والنميمة، والحسد والبغضاء، واحتقار المسلمين، وجحد والسخرية والاستهزاء، حقوقهم وإيذاؤهم، وإحياء العصبية والقومية في الأمة؛ كل هذا يمزق الأمة، ويفرقها شيعًا وأحزابًا، ويجرّهم إلى نار جهنم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾]الحجرات: ١١ [.

فهذا التفريق من يهود حصل في زمن النبي ﷺ، فأحبط الله كيدهم ومكرهم: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ

كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٢-٣٣] .

واليوم أعداء الأمة من اليهود والنصارى وسائر الكفار مزقوا الأمة الإسلامية دولاً، وفرقوها شيعًا، وأحزابًا، وجماعات، ليأكل بعضها بعضًا، ويبقى المسلم معه صورة الإسلام، ويبقى الكافر على كفره، وعذاب الله ونقمته تنزل على هؤلاء وهؤلاء على حد سواء: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣ – ١٢٦] .

ولا يزال أهل الباطل يجتهدون لتفريق الأمة في كل زمان ومكان، وللوقاية من هذا الشر العظيم لابد أن نفعل كما فعل النبي ﷺ وأصحابه في القرن الأول، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ وذلك بإحياء جهد الدعوة إلى الله، ليصل المسلمون والإسلام إلى المستوى الذي ترك النبي ﷺ أصحابه عليه عند وفاته.

فأولًا: نزور المسلمين في بيوتهم ومجامعهم، وندعوهم إلى الحضور في المساجد للانتفاع بحلقات التعليم، والذكر والتلاوة، وسماع كلام الإيمان واليقين، والترغيب في الدعوة إلى الله؛ ليزيد إيمانهم، وتحسن أعمالهم، وزيارة إخواننا المسلمين الذين لا يحضرون إلى المساجد، وقد أمرنا الله بذلك بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢] .

وإذا اجتمع ثلاثة من المسلمين في العبادة، أو الدعوة، أو التعليم، أو الشورى، فعليهم أن يعلموا أن الله رابعهم، يسمع كلامهم، ويرى مكانهم.

فإذا جلسنا مع بعضنا فلا نتكلم إلا بخير، وما فيه مصلحة الأمة، ونترك ما لا يعنينا من قول، أو فعل، أو شأن، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

فهذه هي الأمة التي كوَّنها النبي ﷺ، وتحمَّل الجوع والفاقة، والخوف والإيذاء، والسب والشتم، والطرد من أجلها، حتى أظهر الله دينه، ورضي الله عن أصحابه ورضوا عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

فكلما ارتد الناس من الدين، أو تركوا جهد الدين، اختار الله أقواماً يقومون بالدين، وجهد الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة:٥٤].

فعلينا أن نتواضع لبعضنا، ونكون يدًا واحدةً على عدونا؛ فإذا اتصفنا بصفة أذلةٍ على المؤمنين، جاءت فينا صفة أعزةٍ الكافرين، فإذا تمسكنا بهذه الأصول العظيمة جمع الله الأمة وأعزها، ونصرها على أعدائها: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج:٤٠-٤١].

والله سبحانه هو الكريم الرحيم الذي حث الأمة على الإكرام والإحسان، والاحترام والإيثار، فلا يطلب المسلم من غيره أن يكرمه، لأنه ليس أهلاً

للإكرام، لتقصيره في حقوق الله، وحقوق عباده، بل الكل يستحق منه التكريم والإعزاز، لأنه يعرف نفسه، ولا يعرف غيره.

وبهذه الصفات العظيمة تجتمع الأمة بعضها بعضًا، ويؤثر بعضها مع بعض، وينفع بعضها بعضًا.

والذي يقوم بالاستقامة على الدين، ويقوم بجهد الدين، فالله يسعده في الدنيا والآخرة، ويرفعه إلى الدرجات العالية، ويمكّن له في الأرض، ويجعله سببًا لهداية البشرية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

والذي ينحرف عن الدين، ويترك جهد الدين، فالله يذله ويخذله ويسلمه لأعدائه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾]المائدة: ٧٨ - ٨١[.

واليهود من سلالة الأنبياء، فلما انحرفوا عن دين الله غضب الله عليهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وجعل منهم القردة والخنازير، وسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب، كما قال سبحانه عن أهل الكتاب: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ

عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران:١١١-١١٢].

والصحابة رضي الله عنهم من نسل عُبَّاد الأصنام والأوثان؛ ولكنهم لما قاموا بالدين، وقاموا بجهد الدين، أعطاهم الله الخلافة في الأرض، والكلمة السامية المسموعة، والعزة بين العالمين، كما قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور:٥٥].

فعلينا أن نقوم بالدعوة إلى الله بمكارم الأخلاق في كل مكان، ليبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا، وبذلك نكون خير أمة كما وصفها الله بقوله: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠].

اللهم فقهنا في الدين، واجعلنا هداة مهتدين، صالحين ومصلحين، ذاكرين ومذكرين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

الدواء السادس

استحضار نية التعبد لله وحده في كل حال

ويشتمل هذا الدواء العظيم على المباحث الآتية:

الأول: فقه الإخلاص

الثاني: فضائل الإخلاص

الثالث: علامات أهل الإخلاص

الرابع: ثمرات الإخلاص

الخامس: الأسباب المعينة على الإخلاص

السادس: مفسدات الإخلاص.

الدواء السادس

استحضار نية التعبد لله وحده في كل حال

١- فقه الإخلاص

الإخلاص هو إفراد الله بالقصد في كل قولٍ أو فعلٍ، أو حركةٍ أو سكونٍ، أو سرٍّ أو علانيةٍ، ابتغاء مرضات الله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢] .

الإخلاص: هو مراقبة الله وحده في كل الأقوال، والأعمال، والأحوال.

الإخلاص: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط.

الإخلاص: هو كل ما أريد به وجه الله ﷻ، وهو ضد الرياء.

الإخلاص: ألا تطلب على عملك شاهدًا إلا الله، ولا مجازيًا عليه سواه.

والإخلاص: سرٌ بين العبد وربه لا يعلمه مَلكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده، ولا إنسانٌ فيحسده: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ - ٣].

والإخلاص: إفراد الحق سبحانه بالتوحيد، وأنواع العبادة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥] .

فالمخلص معلق القلب بالله وحده، ولا يبالي بأحد سواه، ولا يحب أن يطَّلع أحد من الناس على مثقال ذرةٍ من عمله، ويكون إخلاصه هو الباعث له على العمل، ابتغاء رضوان ربه ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ

أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤] .

والأنبياء والصحابة كانوا يعملون ويخافون ألا يُقبل منهم العمل لنقصه وعيبه، وكانت أعمالهم أمثال الجبال، ولكن لمعرفتهم بربهم كانوا يخافون ألا تُقبل أعمالهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١] .

وأنفع الأعمال أن تغيب عن الناس بالإخلاص، وعن نفسك بشهود المنَّة من ربك: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

ومقصود الإخلاص الأول الحصول على رضوان الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة:٦٢] .

الثاني: قبول الأعمال الصالحة، فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، صوابًا على سنة رسوله ﷺ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥] .

وقال النبي ﷺ :« إِنَّ اللهَّ لا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ » أخرجه النسائي [1].

الإخلاص: هو إرادة الله وحده بكل عمل، وتصفية الأقوال والأعمال من كل ما سوى الله: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢-٣] .

---

[1] صحيح/ أخرجه النسائي برقم (٣١٤٠) .

والذي يُضاد الإخلاص ويفسده ثلاثة أمور هي:

إرادة العُجب .. وإرادة الدنيا .. ومراءاة الناس: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠] .

والله ﷻ أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه، وابتُغي به وجهه، وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وكل عملٍ ابتغى به العبد مدح الناس فهو عملٌ حابطٌ، ليس له ثواب، بل عليه عقاب: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: « أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ ». أخرجه مسلم[1].

والاحتساب: هو فعل الأوامر الشرعية، واجتناب النواهي، تعبدًا لله، رجاء الثواب من الله تعالى.

قال النبي ﷺ : « مَن صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ».. متفق عليه[2].

والإخلاص: هو مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى كالواحد، الأحد، الصمد، وغيرها من أسماء الله الحسنى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠] .

والإخلاص: من لوازم الإيمان بأسماء الله الخالق، والرب، والملك .

---

(١) صحيح/ أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٠١٤)، ومسلم برقم (٤٦٠) .

فالله وحده هو الخالق الذي خلق كل المخلوقات، والملك الذي له ملك جميع المخلوقات، الخالق الذي يتصرف فيهم كيف شاء، وهو وحده ربهم الذي يربيهم، وينعم عليهم في الدنيا والآخرة، فاستحق بذلك أن يُعبد وحده لا شريك له، وأن يُطاع وحده؛ لأنه الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فكما أنه لم يشاركه أحد في الخلق والرزق، كذلك لا يجوز أن يُشرك معه أحد في الطاعة والعبادة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

الإخلاص هو أصل العبادات القلبية كلها: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

فالإخلاص: شرطٌ لصحة الإيمان، وشرطٌ لصحة جميع الأعمال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء:١٤٢].

والناس متفاوتون في تحقيق الإخلاص بحسب صدق إيمانهم، وكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالإخلاص عبادة عظيمة يكون في كل شيء؛ فيدخل في جميع العبادات، والعادات، والمعاملات، والأقدار، والأقوال، والأفعال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فمن صح إخلاصه أخلص العبادات كلها لله ﷻ، ولم يرَ المخلوقين أثناء العبادة، فهو لا يرى إلا الخالق العظيم، وثوابه العظيم، وعذابه العظيم، فيُشغله ذلك عن كل ما هو دونه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا

خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧] .

من صَدَقَ إخلاصه حوّل عاداته إلى عبادات؛ فتجده يأكل ليتقوّى على العبادات، وتجده ينام مبكرًا ليستيقظ لصلاة التهجد، وتجده يتزوج يريد أن يكثر سواد المسلمين، ويتزوج لينجب داعيًا إلى الله لينشر الإسلام في العالم، أو عالمًا ينشر العلم الإلهي في الأمة، ونحو ذلك من النيات التي تتحول بها العادات إلى عبادات يؤجر عليها العبد .

قال النبي ﷺ:« إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُهُ إلى اللهَّ ورسولِهِ فَهجرتُهُ إلى اللهَّ ورسولِهِ، ومن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينْكحُها فَهجرتُهُ إلى ما هَاجرَ إليْهِ »متفق عليه [1].

والنيّة في الأقدار كأن يُلحَّ العبد على ربه أن يرزقه الشهادة في سبيل الله، أو يرزقه الحج كل عام، فمن نوى ذلك صادقًا عازمًا أدرك الثواب، وإن لم يحصل العمل، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى .

ويدخل الإخلاص في كل قولٍ تقوله، وفي كل عملٍ تعمله، وفي كل خُلقٍ تتخلَّق به، ولا تصح النية الحسنة في المعصية، لأن النية الحسنة لا تغير المعصية عن كونها حرامًا وظلمًا؛ فلا يجوز أن تبني مسجدًا بمال حرام، أو تتصدق على فقير بمال حرام، لأن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

---

(1) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

فالمعاصي كلها ذنب وظلم وعدوان: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾]النور: ٦٣[.

والنيّة الواسعة تجارة العلماء، فتنوي أمورًا كثيرة في العمل الواحد، فيكتب الله لك أجر ما نويت، فانوِ امتثال جميع أوامر الله، واجتناب جميع ما نهى الله ورسوله عنه، يُكتب لك أجر ذلك بالنية الجازمة، وانوِ التعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وانوِ الإحسان إلى الناس بالقول والفعل والمال، وافعل ما تستطيع، يُكتب لك أجر ذلك كله .

قال النبي ﷺ : « إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى». متفق عليه [1].

فحافظ يا عبد الله على إخلاص العمل لله وحده، واحذر من الرياء والشهرة، فإن المَلَك يصعد بعمل العبد مبتهجًا، فإذا انتهى به إلى ربه قال اجعلوه في سجين، فإنه لم يردني بهذا العمل: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

واعلم يا عبد الله أن الإخلاص عزيز، فجاهد نفسك على تحقيقه في كل عمل، واحفظ عملك أن يراه غيرُك، واعلم أن من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن اهتم بأمر آخرته، كفاه الله أمر دنياه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾]النساء: ١[.

واعلم أن المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته، وأخلص النية في العمل يكفك القليل من العمل، وانوِ فعل الخير دائمًا، فإنك لا تزال عاملًا، وإن لم تعمل، لأن النية تعمل، وإن عُدِمَ العمل .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

واعلم أن الإخلاص يحفظ العمل من العيوب، وينقّه من الشوائب، ويميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، كتمييز اللبن من الفرث والدم: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت:٢-٣] .

واعلم أن مراد الله من خلقه إخلاص الأعمال لله وحده: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر:٢-٣] .

واعلم أنه كلما قوي إخلاص العبد في عمله كمُلت عبوديته لربه جل جلاله، وما يرائي العبد الخلقَ في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق جل جلاله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩] .

واعلم أن المؤمن المخلص الصادق مطلوبه وغايته تحصيل رضوان ربه، وامتثال أوامره، ونيل محابّه، فهو متقلب فيها في جميع أحواله، يسير معها أينما توجهت به ركائبها، فبينما هو في صلاة، إذا هو في ذكر، ثم في صوم، ثم في دعوة، ثم في تعليم لشرع الله، ثم في إحسان إلى خلق الله، إلى غير ذلك من المنافع: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

إن الإسلام هو سبيل السلامة، والإيمان هو طريق الأمان، والإخلاص هو سبيل الخلاص: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢-٣].

إن الإخلاص لله ﷻ، وتصحيح النية، واستحضارها في كل عمل، من أهم الواجبات في الدين، بل هي روح جميع الأعمال، كما قال النبي ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنياتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نَوى». متفق عليه [1].

وكانت أحوال الأمم السابقة كلما ابتعدوا عن زمن النبوة أصبحت أمورها الشرعية ميتة لا روح فيها، وصارت كالعادات لا روح فيها، فيبعث الله نبيًا فيرد الناس إلى حقيقة الدين، وحقيقة العبادة، وروح الشريعة، فلما بُعث النبي ﷺ كانت حالة القوم على تلك الحال، عادات وتقاليد لا روح فيها، فكانت تظن أنها هي الشريعة، فقام النبي ﷺ بتعليم أصل الدين، وحقائق الدين، وأحكام الدين، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢] .

والأمة المحمدية في زماننا هذا ابتُليت بهذا المرض في عباداتها، ومعاملاتها، وأخلاقها، فأصبحت أمور الدين كأنها عادات تقليدية، ولأن النبوة قد خُتمت ببعثة النبي ﷺ فإن هذه المسؤولية يتحملها علماء الأمة، الذين هم أعظم نوّاب النبي ﷺ في أمته، وأول عمل يقومون به هو تصحيح النية، لأن الأعمال لا تصير عادات وتقاليد إلا عند عدم معرفة الألوهية، وفقدان شأن روح العبودية، وبتصحيح النية دائمًا يعود توجيه الأعمال إلى الله وحده، ونخرج من العادة إلى الحقيقة، ونشعر بلذة العبودية: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

---

[1] متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

وحتى تكون الأعمال حقيقة، وتُقبل عند الله ﷻ، لابد لها من نية قبل العمل، ونية أثناء العمل، لتكون مقبولة عند الله، ويكون ذلك بأمور :

اليقين على وعد الله ووعيده، واتباع النبي ﷺ في كل عمل.

وإحسان العمل أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأداء الأعمال بالاحتساب بأن نتيقن أن كل عمل لن يكافئنا عليه إلا الله وحده، وإخلاص العمل لله وحده، والافتقار إلى الله وحده، فالله هو الغني وحده، ونحن الفقراء إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥] .

ثم الاستغفار؛ وذلك لجبر العمل الذي شابته شائبة أو غفلة أو تقصير.

فهذه سبعة أمور لابد من استحضارها في كل عمل، ليكون مقبولًا عند الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠] .

٢- فضائل الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة:٥] .

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

وقال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾]غافر: ٦٥.[

وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف:١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ ﴾[النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

وقال رسولُ الله ﷺ: « مَن شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ

وَرُوحٌ منه، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على ما كانَ مِنَ العَمَلِ».

متفق عليه [1].

وقال النبي ﷺ: « أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قالَ لا إلهَ إلَّا اللهُ خالصًا من قِبَلِ نفسِهِ» . أخرجه البخاري [2].

وقال النبي ﷺ: « إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ فَهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، ومن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةَ يتَزَوجُهَا فَهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليْهِ» . متفق عليه [3].

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على فضائل الإخلاص.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٤٣٥)، ومسلم برقم (٢٨) .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٩) .
(٣) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

٣- علامات أهل الإخلاص

لأهل الإخلاص علامات يمتازون بها عن غيرهم، منها:

الأولى: أن المخلص يتهم نفسه بالتقصير دائمًا مع مسارعته في فعل الخيرات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

الثانية: أن المخلص يخاف دائمًا من الرياء، فهو دائمًا يجمع نيته وإخلاصه قبل العمل، ويظل وَجِلًا أثناء العمل، خائفًا من خطورة الرياء، ومن عدم قَبول العمل بعد العمل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الثالثة: المخلص يحرص على إخفاء أعماله الصالحة قدر الاستطاعة، لأنه يعلم أنه لا يجزي عليها إلا الله وحده: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۚ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الرابعة: المخلص تكون عبادته في الخفاء أقوى منها في العلانية، لأنه خلا بربه، واستأنس به، فنشِط للاستكثار مما يحُب ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

الخامسة : أن المخلص لا يتأثر قلبه برؤية الناس له، لأن انشغاله بمراقبة ربه، واستحضار عظمته، وجزيل ثوابه، قد حجب عينيه عن رؤية من هو دونه من المخلوقين: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩] .

السادسة: أن المخلص لا يتأثر بمدح الناس له، بل يستوي عنده مدح الناس وذمهم له؛ وثناء المخلوقين عليه لا يؤثر في قلبه، ولا يدفعه لتحسين عمله، لأنه لا يطلب مدحهم أصلاً، ولا يتطلع إليه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥] .

السابعة: المخلص لا يتأثر بفساد الناس، فلا تقل طاعاته إذا فسد الناس، لأنه يقتدي برسول الله ﷺ، ولا يؤثر فيه إن كان الناس من حوله على طاعة أو معصية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المائدة:١٠٥] .

الثامنة: أن يستوي عند المخلص الغنى والفقر، والذهب والتراب، لأنه على يقين أن رزقه سوف يأتيه مادام حيًا، لأن الله يقول: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦].

التاسعة: أن يملك المخلص نفسه عند الغضب، لأنه يعلم أن ما قدره الله لابد أن يكون، ويملك نفسه عند الشهوة، فلا يرتكب المعصية مثل يوسُف ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف:٢٤] .

العاشرة: أن يفرح المؤمن بكل مجتهدٍ للدين وإن أخذ مكانه، فلو ظهر مَن هو أحسن منه وعظًا، وأغزر علمًا، والناس أشد له قبولًا، فَرِحَ به ولم

يحسده، لأنه يعمل لله، ويحب أن يقوى الإسلام بكثرة المتميزين، فإن أحزنه ذلك فعليه أن يراجع إخلاصه.

الحادية عشرة: من إخلاص الداعي إلى الله أنه لو حضر الأكابر مجلسه لم يتغير كلامه، بل يكون ناظرًا للخلق كلهم بعين واحدة، لأنهم جميعًا زبائنه .

فالداعي إلى الله الأرض دكانه، وأعمال الدين سِلعته، والناس جميعًا زبائنه، فالداعي المخلص لا يتأثر بكثرة الناس حوله أو بقلّتهم، وإنما يتكلم مع القليل كما يتكلم مع الكثير، لأنه يتكلم عن الله مع الله، سواء قلّ الناس أو كثروا، ويعلم أن ربه أول السامعين له: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣] .

الثانية عشرة: من علامات المخلص: أنه لا يطلب من وراء دعوته أجرًا من مالٍ، أو جاه، أو منصبٍ، أو شهرةٍ، بل يبتغي رضوان ربه ﷻ، لأنه الذي سيوفيه أجره: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٩ ﴾ [الشعراء:١٠٩] .

الثالثة عشرة: من علامات المخلص المداومة على الأعمال الصالحة حتى الموت: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩ ﴾[الحجر:٩٧-٩٩] .

فالمؤمن المخلص يتفقد نيته في كل حال، فإن كانت لله أمضاها، وإن كانت لنفسه عالجها، ليقوى إخلاصه، ولتقبل أعماله الظاهرة والباطنة.

فالأعمال الصالحة على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما شُرع في السر دون العلن: كالإسرار بالذكر والدعاء، وقيام الليل. فهذا لا يجهر به، ولا يظهره، لأنه إذا أظهره خالف سنته، وتعرض للسمعة والعجب والرياء : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر: ٢ – ٣].

الثاني: ما شُرع علانيةً كالأذان، وتشييع الجنائز، والحج والعمرة، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والولايات الشرعية.

فهذا لا يتركه خوف الرياء والفتنة، بل يجاهد نفسه في دفع الفتنة والرياء، ليكون خالصًا لله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

الثالث: ما خيّر الشرع فيه ما بين الإظهار والإخفاء؛ كالصدقات، كما قال سبحانه: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:٢٧١].

فهذه إخفاؤها خيرٌ من إظهارها، لما فيه من حفظ العمل والأجر من خواطر الرياء، إلا أن يكون الإظهار من أجل أن يقتدي به غيره، وهو قادرٌ على حفظ نفسه من الرياء.

فهذا إظهاره أفضل لما فيه من تفاعل وتعاون الأغنياء على سد حاجات الفقراء، ومن سنّ سنّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢].

وحقيقة الإخلاص تظهر عند الشدائد والكُرب، كما قال النبي ﷺ لأبي بكر إذ هما في الغار كما قال سبحانه: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة:٤٠].

وكما قال إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار:(حسبيَ اللهُ ونعمَ الوكيل)، فقال الله للنار : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وكما قال موسى ﷺ لقومه حين كان البحر أمامه، وفرعون وجنوده خلفه: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء:٦١-٦٨].

وكما قال المؤمنون في غزوة الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب:٢٢] .

وكما قال المؤمنون في حمراء الأسد: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤] .

وكما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار .

قال رسول الله ﷺ:« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعوه فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون». متفق عليه [1].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٥)، ومسلم برقم (٢٧٤٣) .

٤-ثمرات الإخلاص

الإخلاص هو روح العبادات كلها، فكل عمل لا إخلاص فيه لا قيمة له، ولا أجر لصاحبه، والإخلاص أعظم عبادات القلب، وهو سرٌّ بين العبد وربه، لا يعلمه ملَكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده، ولا هوىً فيميله، ولا عدوٌ فيحسد صاحبه، والشيطان يدخل في كل عمل ليفسده، ولا ينجو من ذلك إلا المخلصين الصادقين: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص: ٨٢ -٨٣].

والإخلاص هو أساس إحسان العبادة، لأن إحسان العبادة، يكون بالإخلاص، والاتباع كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف:١١٠].

وإخلاص الأعمال لله سببٌ لحب الله للعبد، وسبب لحفظ العبد، وسببٌ للفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

والإخلاص سببٌ للنجاة من النار يوم القيامة، وسببٌ للأمن في الدنيا والآخرة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

والإخلاص سببٌ لنيل شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة .

قال النبي ﷺ: « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلبِهُ أَو نَفْسه ». أخرجه البخاري[1].

والنيّة تضاعف أجر العامل المخلص، والنية تحِلّ محل العمل عند العُذر .

قال النبي ﷺ: « إذا مَرِض العَبد أو سافر كُتِب له ما كان يعمله مقيماً صحيحًا ». أخرجه البخاري[2].

فأصحاب الأعذار يدركون ثواب الطاعات كاملة كأصحاب العزائم إذا صدقت نيتهم، فيكتب الله للضعيف العاجز أجر المجاهد في سبيل الله بحسب نيته، ويُكتب للمريض أجر صلاة الجماعة، ويكتب للفقير أجر الصدقة، كل بحسب نيته .

قال النبي ﷺ: « إِن بِالمَدِينةِ أَقوَامًا ما سِرتُمْ مسيرًا ولا قَطعتُمْ وادِيًا إِلَّا وَهُم معَكُم!! قالوا يا رسولَ اللهَّ: وَهُم بالمدينةِ؟ قالَ: وَهُم بالمَدِينْةِ حبسَهُمُ الَعْذرَ». أخرجه البخاري[3].

بالإخلاص تكون النجاة في الدنيا والآخرة، وبالشرك تكون الخسارة في الدنيا والآخرة : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر:١-٣] .

فلا بُدّ للعبد الذي يرجو النجاة من الإخلاص في عمله، وتفقد نيته عند كل عمل يقوم به، فكل عمل خلا من الإخلاص فهو باطلٌ مردودٌ غير مقبول: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[الزمر:٦٥-٦٦] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». أخرجه مسلم[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩) .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٩) .
(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٨٣٩) .
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

فنجاة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم، بالإخلاص .

فنجاة يوسف عليه الصلاة والسلام كانت بالإخلاص حين راودته امرأة العزيز: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[يوسف: ٢٤] .

ونجاة يونس ﷺ كانت بالإخلاص: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء:٨٧- ٨٨] .

ونجاة إبراهيم ﷺ بالإخلاص، لما ألقاه الكفار في النار: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء:٦٩].

ونجاة موسى ﷺ بالإخلاص: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الشعراء:٦١-٦٦] .

ونجاة نوح ﷺ بالإخلاص حين دعا ربه: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١٠ - ١٤].

فالإخلاص: روح كل عمل صالح، والعمل الصالح هو العمل الذي تعمله خالصًا لله ﷻ، ولا تريد أن يحمدك عليه أحدٌ إلا الله وحده: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة:٥] .

واعلم ياعبد الله: أن الإجابة مقرونة بالإخلاص، فمتى دعوت الله ولم يستجب لك، فاعلم أن إخلاصك مدخول، فراجع إخلاصك، ليُقبل دعاؤك: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

فأخلص يا عبد الله الدعاء والعبادة لله وحده، يستجيب الله لدعائك، ولا يُشغل قلبك ما تراه عيناك، ولا ما تشتهيه نفسك، ولا يُنسِك ذكر ما سمعَته أُذناك، ولا يحُزن نفسك ما أُعطيَ لغيرك: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر:١١-١٢] .

فالإخلاص هو الدين كله، وهو الربح كله وأعظم ثمرات الإخلاص:

الفوز بالجنة، والنجاة من النار، وقبول الأعمال، ونيل الأجر العظيم، والفوز بالدرجات العلى في الجنة، ورضوان الرب، والقرب منه، ورؤيته، وسماع كلامه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

فمن أخلص لله حقاً عبده حقاً، ونال الثواب العظيم حقاً: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤] .

وقال النبي ﷺ: « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ » . متفق عليه[1].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢) .

٥- الأسباب المعينة على الإخلاص

من أعظم الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص ما يلي:

الأول: معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وآلائه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده، ومعرفة عظمة ثوابه وعقابه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فمن عرف الله حقاً اتقاه، وفاز بثوابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك: ١٢] .

الثاني: التفكر في عظمة آيات الله الكونية؛ كخلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الجماد والنبات، وخلق الحيوان والطير، وخلق الجن والإنس ونحو ذلك، فمن تفكر في تلك الآيات العظيمة عرف أن لها خالقًا خلقها، وهو الذي يدبر أمرها، فآمن به وأخلص له العبادة، لأنه وحده الذي بيده الخلق والأمر، وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

الثالث: التدبر لآيات الله القرآنية وما فيها من الأخبار الصادقة، والأوامر الحكيمة، والقصص والمواعظ، والوعد والوعيد: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] .

فمن تدبر ذلك؛ علم أنه كلام رب العالمين، وأنه تنزيلٌ من حكيم خبير، فآمن بالله وحده، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] .

الرابع: الإكثار من ذكر الله ﷻ، فمن ذكر الله كثيرًا أخلص له العبادة، وأطاعه ولم يعصه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

الخامس: دعاء الله ﷻ أن يرزقه عبودية الإخلاص في جميع أقواله وأعماله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

السادس: مطالعة سِيَرِ الأنبياء والمرسلين، فهم أئمة المخلصين، وسادة الناس أجمعين، فمن عرف سيرتهم، واطّلع على عبودياتهم اقتدى بهم في صدق إيمانهم وإخلاصهم ودعائهم: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

السابع: معرفة ثواب المخلصين في أعمالهم لله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال النبي ﷺ: « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِلبِهِ، أو قال نَفْسِهِ ». أخرجه البخاري[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩).

٦- مفسدات الإخلاص

الإخلاص واجبٌ في كل عمل، وهو إفراد الله بالقصد في جميع العبادات الظاهرة والباطنة: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢] .

والذي يفسد الإخلاص ثلاثة: الشرك ... والنفاق .. والرياء

فالإخلاص واجبٌ في الاعتقاد وعكسه النفاق، والإخلاص واجبٌ في أعمال القلوب وعكسه الشرك، والإخلاص واجبٌ في أعمال الجوارح وعكسه الرياء: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٤-٦٦] .

والرياء أن يبتغي العبد بعمله الظاهر غير الله، أو يبتغي الخالق للأجر، والمخلوق للذكر.

والرياء لا يكون إلا في أعمال الجوارح، فلا يكون إلا في الأقوال والأعمال التي تظهر للناس: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢] .

والرياء يفسد العمل الذي هو فيه كبيرًا كان أو صغيرًا، ويبطل ثوابه، ويوجب العقاب، لتسويته المخلوق مع الخالق في القصد، ولكنه لايخرجه من الملّة.

والإخلاص في عمل القلب؛ هو إفراد الله بالحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والدعاء، وغيرها من عبادات القلوب .

ومن توجه بأحد هذه العبادات الى غير الله فهو مشركٌ شركًا أكبرًا، كأن يحب المخلوق كحب الله، أو يخافه كخوف الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

والشرك الأكبر يخُرج العبد من الملّة، ويُبطل التوحيد، ويُنقص الإيمان.

والإخلاص أصلٌ في كل عمل؛ فكل عمل صالح لا إخلاص فيه فهو باطلٌ لا قيمة له: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة:٧٢] .

والإخلاص في الاعتقاد: هو الصدق في قول لا إله إلا الله، وذلك أصل التوحيد: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر:٢-٣].

والإخلاص ضده الشرك والنفاق والرياء .

فالإخلاص يضاده الشرك، وهو أن يعمل العمل الصالح لغير الله، أو يعمله لله ولغيره، وهو يقع في أعمال القلوب الباطنة.

والنفاق: إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، فالمنافق يؤدي بعض العبادات الظاهرة إن كان في جمعٍ من المسلمين، ويترك العبادة إن كان وحده، فالمنافق يُظهر العبادة أمام الناس، لجلب نفع، أو دفع ضُرّ.

والمنافق كافر، وعمله مردود غير مقبول، لأنه لا يُقرّ لله بالتوحيد، ولا يعظّم ربه، بل يرجو بعمله ثناء الناس عليه، وهذا هو النفاق الأكبر المذكور في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء: ١٤٢] .

فالمنافقون أشد الناس عذاباً سوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[النساء:١٤٥-١٤٦].

والرياء ضد الإخلاص، وهو أن يعمل العمل الصالح في الظاهر، ويقصد به غير الله في الباطن.

والرياء يقع في الأعمال الظاهرة، والمرائي يُقرّ لله بالتوحيد ويعظمه، لكنه يريد ثناء الناس، مع ثواب الله على العبادة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ

عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون: ٤ – ٧].

والرياء: هو تزيين ظاهر العبادة للناس تقربًا إليهم، ورجاء الثناء منهم، وطلب المنزلة عندهم، أو طلب الدنيا التي بأيديهم.

وكل عمل صالح لا يقبله الله إلا بثلاثة شروط:

الأول: الإيمان بالله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

الثاني: الإخلاص: بأن يبتغي العبد بعمله وجه الله وحده: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥] .

الثالث: الاتباع: بأن لا يتبع في عمله إلا رسول الله ﷺ فقط: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك، واصرف عنا شر ما قضيت.

اللهم إنا نسألك إيمانا كاملًا، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، يا أرحم الراحمين .

الأدوية الشافية

لأمراض الأمة الظاهرة والباطنة

في ضوء القرآن والسنة

الدواء السابع

قيام الأمة قاطبة بالدعوة إلى الله تعالى

ويشتمل هذا الدواء العظيم على المباحث الآتية:

الأول: فقه الدعوة إلى الله جل جلاله

الثاني: فضائل الدعوة إلى الله جل جلاله

الثالث: مقاصد الدعوة إلى الله جل جلاله

الرابع: ثمرات الدعوة إلى الله جل جلاله

الخامس: الأسباب المعينة على الدعوة إلى الله جل جلاله

السادس: عقوبات ترك الدعوة إلى الله جل جلاله

الدواء السابع

قيام الأمة قاطبة بالدعوة إلى الله تعالى

١ - فقه الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله ﷻ هي تعريف الناس بربهم وخالقهم ورازقهم، وتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتعريفهم بعظمة ملكه وسلطانه، وتعريفهم بنعمه وإحسانه؛ ليؤمنوا بالله، ويوحدوه، ويكبروه، ويمجدوه، ويحبوه، ويحمدوه، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

الدعوة إلى الله هي الطريق الموصل إلى الله، وقد شرَّف الله بها جميع هذه الأمة، رجالاً ونساءً إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وحقيقة الدعوة: هي الدعوة إلى الله، وتعريف الناس بالله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، وتعريفهم بعظمة ملكه وسلطانه، وتعريفهم بنعمه وإحسانه، وتعريفهم بدينه وشرعه، وثوابه وعقابه؛ ليوحدوه ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾]الأعراف: ١٥٨[.

فنعرِّف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليعظموه ويكبروه، ويوحدوه، ونعرّفهم بعلمه وقدرته، ليخافوه ويهابوه، ونعرّفهم بخزائنه، ليسألوه ويدعوه، ونعرّفهم بوعده، ليسارعوا إلى طاعته، ونعرّفهم بوعيده، ليحذروا من معصيته، ونعرّفهم بنعمه وإحسانه ليشكروه ويحبوه، ونعرّفهم بدينه وشرعه، ليعبدوه بما شرع رسوله ﷺ، مع كمال الحب والتعظيم والذل له جل جلاله، وذلك أعظم شيء ، وأوجب شيء، وأحسن شيء: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].

وبهذا يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، وتنقاد الجوارح للطاعة والعبادة مع كمال الحب لله، والتعظيم له، والذل له.

وأصل الدعوة للداعي تركيزًا، ليزيد إيمانه، وتحسُن أعماله وأخلاقه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت/ ٦٩].

والدعوة كذلك لغير الداعي تذكيرًا له بالفطرة التي فطر الله عليها ذرية آدم حين خلقهم وأشهدهم على أنفسهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف/ ١٧٢].

فالداعي يذكِّر الناس بهذا العهد العظيم، ليعبدوا ربهم الذي شهدوا له بالوحدانية والربوبية من قبل، كما قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية/ ٢١- ٢٢].

والداعي إلى الله يتجول على الناس لإصلاح نفسه، وإصلاح غيره، وإكمال الإيمان في قلبه، وتحصيل حقيقة العبادات، ودعوة الناس إلى الحق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].

فأي صفة تريد أن تحيا في حياتك؛ فبجهد الدعوة تحصل لك، فلإقامة الصلاة ندعوا الناس إلى حقيقة الصلاة، لتأتي حقيقتها في قلوبنا وقلوب الناس: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وكما يستعين أهل الدنيا بالأسباب لقضاء حوائجهم، فنحن ندعوا الله في صلاتنا ليقضي حوائجنا بالأعمال، وكان ﷺ إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة/ ١٥٣].

الدعوة إلى الله هي دعوة الناس لمعرفة الله، والإيمان به، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته وحده لا شريك له.

الدعوة إلى الله هي رد الشاردين من عبيده إلى طاعة الله، وعبادته وحده لا شريك له، فأفضل الأعمال وأحسنها أن يراك ربك تردُّ عباده الشاردين عنه، العاصين له، المتمردين على أحكامه، تردهم إلى ربهم واحدًا واحدًا،

وجماعةً بعد جماعةً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].

والدعوة إلى الله ﷻ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الدعوة إلى الله جل جلاله، وتعريف الناس بربهم ليوحدوه، وتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ليكبروه ويعظموه ويمجدوه، وتعريفهم بنعمه وإحسانه ليحبوه ويشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له:﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

وهذا هو أصل الدعوة، والأول في باب الدعوة إلى الله جل جلاله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف: ١٠٨] .

الثاني: الدعوة إلى السبيل الموصل إلى الله، وإلى مرضاته: وهو تعريف الناس بالدين الذي أنزله في كتابه، وأرسل به رسله، من عهد آدم ﷺ إلى بعثة محمدٍ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[الجمعة/ ٢].

الثالث: تعريف الناس بما لهم بعد القدوم على الله يوم القيامة؛ وهو الجنة لمن آمن بالله وأطاعه، والنار لمن كفر به وعصاه، كما قال سبحانه:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

[النساء/ ١٣-١٤].

والدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي وظيفة هذه الأمة رجالًا ونساءً إلى يوم القيامة، وبها شرّف الله هذه الأمة، وأعطاها وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

والداعي إلى الله يدعو الناس إلى الله بالنهار ليدخلوا في رحمة الله، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾[المدثر/ ١-٣].

ويدعو ربه ويتضرع إليه بالليل لينزِل نورَ الهداية في قلبه وقلوب الناس، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل/ ١- ٤].

ومن اجتهد في الدعوة في النهار، ولم يتضرع إلى الله في الليل، أصابه الكبر والعُجب، واتّكل على نفسه وجهده، وأصابه الغرور: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود/ ١١٢- ١١٣].

وإن تضرع إلى ربه في الليل، ولم يجتهد على الناس في النهار فقد خالف سنة الله، فهو كمثل من يريد الأولاد ويدعو الله أن يرزقه الأولاد وهو لم يتزوج، وسنة الله أن يتزوج ثم الله يرزقه الأولاد، والله قادرٌ أن يرزقه الأولاد بدون الزواج كما خلق سبحانه آدم وزوجه بلا زواج، وخلق عيسى ﷺ

بخلاف الأسباب من أمٍ بلا أب، وهذه قدرته سبحانه، وقادرٌ سبحانه أن يهدي الناس جميعًا بلا دعوة أحد، ولكنه سبحانه جعل سنة نسل الناس إلى يوم القيامة أن يتزوج الإنسان: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[الأنعام: ١٤٩] .

وهكذا سنة الله في الهداية بالدعوة والدعاء إلى يوم القيامة.

والدعوة إلى الله هي أم الفرائض، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، وبإقامتها في الأمة تحيا جميع الفرائض والسنن في حياة الأمة، ولهذا كلف الله وشرّف بها كل مسلم ومسلمة بقوله:﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيةً». أخرجه البخاري[1].

وقد ختم الله ﷻ الأنبياء والرسل ببعثة محمد ﷺ، وختم الأمم بهذه الأمة، وأعطاها وظيفة الأنبياء والرسل، وهي الدعوة الى الله في مشارق الأرض ومغاربها، إلى أن تقوم الساعة، ولهذا كانت أفضل الأمم في الدنيا والآخرة، وأكثرُ أهل الجنة؛ ولعظمة هذا العمل، وشرف هذه الوظيفة، وثِقل هذه المسؤولية فقد ربّى الله هذه الأمة على الدعوة من أول يوم كما ربّى الأنبياء، واصطفاها واجتباها لذلك من بين الأمم .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

وتوّج الله هذه الأمة من أجل القيام بالدعوة إلى الله بأربعة تيجان، فاقت بها من سواها من الأمم السابقة :

التاج الأول: تاج الخيرية :﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران/ ١١٠].

التاج الثاني: تاج الاجتباء، كما قال سبحانه :﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ﴾ [الحج/ ٧٨].

التاج الثالث والرابع :تاج الوسطية ، وتاج الشهادة :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾[البقرة/ ١٤٣].

هذه الأمة وسط بين الخلق وربهم، يعرفونهم بربهم، ليعبدوه وحده لا شريك له، ويشهدون على الناس أنهم بُلّغوا ، ويشهد للرسل أنهم قد بلغوا.

وأفضل القرون القرن الذي فيه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فقد كانت في حياتهم أعظم الصفات؛ وهي كمال الإيمان، والعبادة، والدعوة، والتعلّم والتعليم، وبذل الجهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله : ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾[التوبة: ٨٨ – ٨٩].

ولما أعطى الله ﷻ هذه الأمة هذا الدين، وجهد الدين، وأكرمها بوظيفة الأنبياء والرسل، وهي الدعوة إلى الله، فقد أبقى الله من البلاد والعباد والزمان ما يكون ميدانًا لدعوتها في مشارق الأرض ومغاربها إلى أن تقوم الساعة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾]آل عمران: ١١٠ [.

وقد اجتهد النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم حتى جاء فيهم أمران:

إقامة الدين في حياتهم.. وإقامته في حياة الناس .

وعلموا أن بقية البلاد والعباد مسؤولية أمته الى قيام الساعة؛ وفهموا أن المسلم محاسب على ترك المقصد الانفرادي وهو العبادة، ومحاسب على ترك المقصد الاجتماعي وهو الدعوة إلى الله، لذلك قاموا بهذا وهذا، ثم توفى الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ بعد أن بلّغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، واستمروا على القيام بالدعوة إلى الله تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف/ ١٠٨].

والبصيرة تكون بالعلم قبل الدعوة، واللين مع الدعوة، والصبر عند الدعوة وبعد الدعوة .

وعَنْ ابن مسعود ﷺ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْني ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهمْ ، ثُمَّ يجِيءُ أَقوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمينَهُ، وَيَمينُهُ شَهَادتَهُ ». متفق عليه[1].

وقد تلقّى أصحاب النبي ﷺ منه وسائل وأساليب الدعوة عمليًا من أول يوم، وتحملوا مسؤولية الدعوة بعده عليه الصلاة والسلام، فضحّوا براحتهم وشهواتهم، وتركوا ديارهم وأهلهم وأموالهم، من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، وبذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم، لنشر هذا الدين في العالم،

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٢)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٣٣).

فساروا دعاة إلى الله ﷻ يحملون "لا إله إلا الله" لتدخل كل بيت في مشارق الأرض ومغاربها؛ في الشام والعراق، وفي مصر وشمال إفريقيا، وفي روسيا، وما وراء النهر، وفي غيرها فرضي الله عنهم، ورضوا عنه .

وفُتحت هذه البلاد، وانتشر فيها الإسلام، وحلّ فيها التوحيد بدل الشرك، والإيمان بدل الكفر، وظهر فيها من العلماء والدعاة، والعبّاد والزهّاد، والصالحين والمجاهدين ما تَقَرُّ به عين كل مسلم ومسلمة .

فالمهاجرون تركوا كل شيء من أجل الدين، و الأنصار بذلوا كل شيء من أجل الدين، فقام الدين وانتشر، وتحقق الأمن؛ أولئك خير القرون، أولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أولئك هم المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة/ ١٠٠].

والدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة، وقد شرف الله بها هذه الأمة رجالًا ونساءً إلى يوم القيامة: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

والمسلمون قسمان:

الأول: عالمٌ يبين الحق بنفسه، ويدعو الناس لاتباعه، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ

عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾[غافر/ ٣٨-٤٠].

الثاني: مسلم لكنه غير عالمٍ

فهذا يأمر الناس، ويدعوهم إلى اتباع الرسل والعلماء الربانيين، كما قال الله تعالى عن صاحب يس:﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾[يس/ ٢٠-٢١].

فالكل يقوم بالدعوة الى الله، ليُعبد الله وحده لا شريك له، ويُطاع في ملكه وحده لا شريك له؛ فالعالمِ يبين الحق بنفسه، وغير العالمِ يرشد الناس إلى اتباع العلماء الذين هم أعرف الخلق بالله، وتلك هي التجارة الرابحة بلا ريب، فلا يُعذر أحدٌ بترك الدعوة إلى الله، ولا يحرم نفسه أحدٌ من ثوابها، وبهذا وهذا يظهر الحق في العالمَ، ويزهق الباطل في العالمَ، كما يريد الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة: ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[الصف/ ٩- ١١].

فعلى كل مسلم ومسلمة واجبان :

الواجب الأول: العمل بالدين بعبادة الله وحده لا شريك له، وطاعة الله ورسوله ﷺ، وفعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، والاستقامة على ذلك، كما قال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].

والواجب الثاني: الدعوة الى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه :﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيةً». أخرجه البخاري[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». أخرجه مسلم[2].

وكما أن الله عز وجل سوف يجزي من قام بالعبادة والدعوة خير الجزاء؛ فكذلك سوف يحاسب من قصّر أو ترك أحدهما أو كلاهما:﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

وقال عز وجل: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾[الأعراف/ ٦-٧].

فمسئولية هذه الأمة الاستقامة على الدين، والقيام بجهد الدين، على حد سواء، وإلا فهو الخزي والعذاب: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة:٨٥] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٩).

٢- فضائل الدعوة إلى الله عز وجل

جاءت فضائل الدعوة إلى الله في كتاب الله ﷻ، وفي سنة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران/ ١٠٤- ١٠٥].

وقال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران/ ١١٠].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف/ ١٠٨].

وقال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

والدعوة إلى الله هي أم الأعمال، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان؛ لأنها وظيفة الأنبياء والرسل، ووظيفة هذه الأمة من بعد نبيها ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾]فصلت: ٣٣[

والدعوة إلى الله هي مسؤولية هذه الأمة، وهي حاجتها، وهي وظيفتها، وهي شرفها، كما قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران/ ١١٠].

وقد قام بها أصحاب النبي ﷺ خير قيام، فدخل الناس في دين الله أفواجًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾[البينة: ٧ – ٨].

فكل من آمن بالله، وقام بالعبادة، والدعوة إلى الله فالله ﷻ يكرمه بكرامات عظيمة، أهمها:

أن الله يعزه، وإن لم تكن عنده أسباب العزة؛ كما حصل لبلال وسلمان رضي الله عنهما، ويجعل الله أعمال الدين كلها محبوبة للداعي؛ يقوم بها، ويدعو إليها، ويجد حلاوة ذلك في قلبه، ويجعل الله له محبةً في قلوب الخلق، ويطوي بساط الباطل من حوله، ويؤيده ربه بنصرةٍ غيبية من عنده، ويستجيب دعاءه، ويجعل له هيبةً في قلوب الناس، ويكون الله معه، ويرضيه ربه، ويرضي عنه، ويعطيه من الأجر مثل أجور من دعاه واهتدى بسببه، ويرزقه الاستقامة والهداية، ويجعله سببًا لهداية البشرية حيًا وميتًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب/ ٧٠- ٧١].

والقول السديد هو كما قال الله ﷻ:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت: ٣٣ - ٣٠] .

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت/ ٦٩].

وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾]التوبة: ٤٠.[

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنقُصُ ذلِكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئاً».

أخرجه مسلم[1].

وعن سهل بن سعد ﷺأن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ﷺ يوم خيبر: «انْفُذْ عَلى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بمَا يَجبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فيهِ، فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ الله بكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». متفق عليه[2].

---

(1) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٧٤).

(2) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

٣- مقاصد الدعوة إلى الله عز وجل

المقصد الأعلى لجهد الدعوة إلى الله هو أن يصل الدين، وجهد الدين، إلى المستوى الذي ترك الرسول ﷺ عليه الأمة عند وفاته حين نزلت في حجة الوداع آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[الأنعام:٣] .

والأحوال التي تأتي على الدعاة إلى الله، لتنقية الصفوف من الخَبَث، وتصفية القلوب مما سوى الله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت/ ٢-٣].

فهذا هو المقصد الأعظم من الدعوة إلى الله في زماننا هذا، ولكن حتى نصل إلى هذا لا بد أن نقوم بالجهود التي تسبقه لنصل إليه..

ثم المقصد الثاني كيف تجتمع الأمة على هذا الدين، وتتكون الأمة، فإذا اجتمعت الأمة على الدين أعطاها الله الخلافة في الأرض، ومكَّن لها في الأرض، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور:٥٥].

فإذا تكونت الأمة مكّن الله لها في الأرض، ونزع من قلوبها الخوف من الأغيار، مهما كانت قوتهم، وزرع الخوف في قلوب أعدائها: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران:١٣٩].

وإذا لم نقم بالمقصد؛ نزع الله الخلافة من أيدينا، وسلّط الله علينا أعداءنا، وقذف في قلوبنا الوهَن، وهو حب الدنيا، وكراهية الموت، ونزع من قلوب أعدائنا المخافة منا، كما هو حاصل الآن في زماننا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[التوبة: ٣٨ – ٣٩]

أما المقصد الثالث: فهو كيف يأتي في قلوبنا الهم والفكر لهداية كل الأمة، للقيام بالدين، وجهد الدين، على حد سواء:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

[آل عمران/ ١١٠].

أما المقصد الرابع: فهو كيف يأتي في قلوبنا الهم والفكر لهداية البشرية كلها ليكون الدين كله لله، وتكون إدارة البشرية بيد المسلمين : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

ولنقصِ الدين في حياة الأمة الإسلامية الآن نجتهد على المسلمين أولاً، ليأتي الدين الكامل في حياتهم، ثم نجتهد لدعوة الكفار إلى الإسلام ثانياً، ليكون الدين كله لله في ملكه: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾]الأنفال: ٣٩ – ٤٠ [.

والمقصد الخامس: كيف تأتي في قلوبنا الشفقة على غير المسلمين، والرحمة للمسلمين، فنشفق على الكفار من عذاب جهنم، ونرحم عصاة المسلمين، ومن ترك الدعوة إلى الله من المسلمين، وبهذا وهذا تحصل للجميع الهداية والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وبسبب ترك الدعوة إلى الله ضَعُف الإيمان في قلوبنا، وحُرمنا الرحمة للمسلمين، وحُرمنا الشفقة على الكفار، حتى مات الكافر كافرًا، ومات العاصي من المسلمين عاصيًا، ومات المرتد من المسلمين مرتدًا: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨] .

المقصد السادس: إحياء طريقة النبي ﷺ في جُهد الدعوة إلى الله؛ كيف قام النبي ﷺ بالدعوة في مكة والمدينة، فكما نتبعه ﷺ في العمل بالدين، كذلك نتبعه في جهد الدين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

فالصلاة لها طريقة، والحج له طريقة، كذلك دعوته ﷺ لها طريقة يجب أن نتبعها، لتثمر دعوتنا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

المقصد السابع: اليقين على جُهد النبي ﷺ؛ بأن أتيقن أن الله خلقني وبعثني لهذا الجهد العظيم، فلا أتركه أبدًا، ولأنه لا يوجد طريقة لنشر هذا الدين إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا يوجد طريقٌ آخر لإحياء جهد الرسول ﷺ في الدعوة إلا هذا الطريق: : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

واليوم الدين قد نقَصَ في حياة الأمة الإسلامية نقصاً كبيراً، فمنهم من لا يصلي، ومنهم من لا يزكي، ومنهم من لا يصوم، ومنهم من يأكل الربا، ومنهم من يشرب الخمر، ومنهم من يفعل فاحشة الزنا،... فإذا جاء هذا النقص في الدين فلا يكمُل إلا بوجود أمة تقوم بالدين، وجهد الدين، بطريقة محمد ﷺ ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] .

لهذا لما مات النبي ﷺ نقص الدين، وارتدت العرب إلا مكة والمدينة والطائف وهجر، فاختار الله أبا بكر ﷻ لإحياء الدين بعد نقصه بجهد النبي ﷺ، فعاد الناس إلى الدين، واستقاموا عليه كما كانوا من قبل .

وزماننا هذا نقص فيه الدين، وجهد الدين، أكثر، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، بإحياء الهجرة والنصرة من أجل الدين كما كانت في عهد النبي ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وبالهجر والنصرة قام الدين في القرن الأول، ولن يقوم في أي زمان إلا بذلك: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

المقصد الثامن: اليقين على أن جهد الدعوة إلى الله ليس من شروطه المُلك والمال، ولكن شرطه الأساسي الإيمان، واتباع النبي ﷺ، والاستعانة بالله وحده: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

المقصد التاسع: إحياء حياة النبي ﷺ في حياة الأمة؛ بأن نقتدي بالنبي ﷺ في توحيده وإيمانه، وفي نيته وفكره، وفي أقواله الحسنة وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

المقصد العاشر: إحياء اليقين على قدرة الله ﷻ، واليقين على الإيمان والأعمال، واليقين على الآخرة، واليقين على جهد النبي ﷺ؛ وذلك بإحياء جميع أوامر الجهد التي كانت في حياة النبي ﷺ، وقام بها أصحابه معه حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، كما قال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر/ ١- ٣].

والآن أوامر جهد الدين ناقصة، وأوامر الدين ناقصة، ولن تكمُل في حياة الأمة إلا بجهد النبي ﷺ فقط: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

الدعوة الى الله هي أفضل الأعمال بعد الإيمان؛ وهي أم الفرائض، وأوجب الواجبات بعد الإيمان، وقد زكى الله الداعي إلى الله بقوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت/ ٣٣].

وكلف هذه الأمة وشرفها بالدعوة إلى الله، كما شرف بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فقال:﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

والدعوة إلى الله تتطلب النفَر في سبيل الله، والنصيحة بالنفس والوقت والمال، لإبلاغ دين الله في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾[التوبة/ ٤١].

فعلينا جميعًا أن نقوم بالدعوة إلى الله، ونؤدي أمانة الدعوة إلى الله، فنخرج في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، حتى تتحقق العبودية لله وحده في أنحاء الأرض، كما فعل النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار رضي الله عنهم من قبل: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾[يوسف/ ١٠٨].

ومقصود الدعوة إلى الله إحياء الدين كله، في العالم كله، إلى قيام الساعة، حتى تصل الأمة إلى المستوى الذي ترك النبي ﷺ أصحابه عليه عند

وفاته:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم/ ٥٢].

وبالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يهتدي الكفار إلى الإسلام، ويتوب العصاة الى الله، ويترقّى المؤمن في إيمانه وأعماله وأخلاقه، ويهتدي الضّال، ويتعلم الجاهل، ويتوب الفاسق:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].

ولإحياء الدين كله، في العالم كله، لا بد من النفر، والخروج في سبيل الله بالنفس والمال والوقت، كما فعل المهاجرون والأنصار من أصحاب النبي ﷺ :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

واعلم يا عبد الله، ويا أمة الله: أن حاجة البشرية للدين كحاجة الجسد إلى الروح، فكما أنه إذا فُقدت الروح فسَد الجسد، فكذلك الأمة إذا فقدت الدين فسدت وخسرت دنياها وأخراها:﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦] .

الدنيا كالجسد، وروحها الدين، وروح الدين الدعوة، وروح الدعوة التضحية بكل شيءٍ من أجل الدين، وروح التضحية بذل المحبوب، وترك المحبوب، من أجل الدين، وروح البَذل والترك الهجرة والنُصرة من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾[الأنفال: ٧٤] .

ولإحياء الدين كله في العالم كله لا بد من الهجرة والنصرة لينتشر الدين في العالم كله، كما فعل المهاجرون والأنصار؛ فالمهاجرون تركوا، والأنصار بذلوا، فجاءت الثالثة وهي قيام الدين ورضوان الله عليهم، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة/ ١٠٠].

وحقيقة المجاهدة:

تكون بالقيام بالعمل، وإتمام العمل، والتضحية بكل شيءٍ من أجله، والاستقامة عليه حتى الممات، فأغلى شيءٍ في خزائن الله هو الهداية؛ لا يعطيها الله إلا لخواص خلقه ممن طلبها، وجاهد في سبيل تحصيلها، فمن علم الله أنه أهل لها، وهم المؤمنون، أعطاه الله إياها وأعانه عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].

٤- ثمرات الدعوة إلى الله عز وجل

ثمرات الدعوة إلى الله ﷻ كثيرة، ومن أعظم ثمرات الدعوة إلى الله :

الأولى: أن الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، ويعبدون ربهم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

الثانية: الدعوة إلى الله من أعظم أسباب تحويل وجهة الناس من المخلوق إلى الخالق، ومن وجهة الأموال والأشياء إلى وجهة الإيمان والأعمال الصالحة، ومن جهد الدنيا إلى جهد الآخرة.

وإذا قام جهد الدعوة إلى الله في الأمة جاء الفهم الصحيح للدين، وصرفت الأموال والجهود والأوقات لإحياء الدين كله، في العالم كله، على طريقة الرسول ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

الثالثة: بالدعوة إلى الله يرسخ الإيمان واليقين في القلب، فيثمر قوة العبادة، وشَغل الأوقات والجوارح بكل ما يحبه الله ويرضاه من العبادات، والمعاملات، وتعليم الناس، والإحسان إليهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت/ ٦٩].

الرابعة: أعظم بركات الدعوة إلى الله الحصول على رضوان الله ﷻ، والفوز بمعية الله ﷻ، ومحبة الله للداعي، ومحبة الخلق له، ويقضي الله جميع حوائج الداعي بالدعاء: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة/ ١٠٠].

الخامسة: من ثمرات الدعوة إلى الله أن الداعي إلى الله يشعر بمسؤولية الدين، ويأتي في قلبه حب إصلاح نفسه، والشفقة والرحمة على جميع الخلق: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤] .

السادسة: بالدعوة إلى الله يزيد إيمان الداعي، ويقوى حب الله ﷻ في قلبه، وتقوى تضحياته في سبيل الله، ويسعد بالبركة في حياته وأعماله، ويشعر بالراحة والطمأنينة، ويجعل الله له المحبة في قلوب البررة، والهيبة في قلوب الفجرة، ويجعل الله له البركة والسعة في رزقه، ويستجيب دعاءه اذا دعاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦]

السابعة: بالدعوة إلى الله يفوز العبد بالأجور العظيمة، وينجو عند نزول العذاب، ويُحفظ من الفتن، ويتحصَّل على صفات الأنبياء، والعزة في الدنيا، والفوز بالفردوس الأعلى في الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[البينة: ٧ – ٨]

الثامنة: من اجتهد على الناس ليدعوهم إلى الله فالله يرزقه دوام التعلق بالله، ويرزقه قوة الإيمان، وحسن الأعمال الصالحة، قبل الناس: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].

التاسعة: الداعي إلى الله له من الأجر مثل أجر من دعاه وتبعه إلى يوم القيامة عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنقُصُ ذلِكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئاً». أخرجه مسلم[1].

العاشرة: الدعوة إلى الله تثمر لصاحبها الثبات على الدين، وحب أعمال الدين، والاستقامة على الهدى، والاستمرار في الدعوة، لما فيها من الأجور العظيمة: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾]يوسف: ١٠٨[.

الحادية عشرة: الدعوة إلى الله تثمر البركة في العمر، والأهل والذرية، ويُصلح الله بها المجتمع المحيط بالداعي إلى الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف:٩٦] .

الثانية عشرة: الدعوة إلى الله أعظم سبيل لزوال الشرك والمعاصي، وتقليل المنكرات والفواحش، وإماتة البدع والضلالات في الأمة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت/ ٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

الثالثة عشرة: الدعوة إلى الله أعظم طريق لزيادة الإيمان، وإتقان الأعمال، والتحلي بمكارم الاخلاق: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].

الرابعة عشرة: الدعوة إلى الله هي السبيل الأقوم لإقامة الدين في العالم كله، ونشر الأمن والسلام، وظهور عزة الإسلام، ورفع شأنه ونشره، ولهذا شرف الله بها جميع الأمة، وأوجبها على كل مسلم ومسلمة بقوله :﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

الخامسة عشرة: الدعوة إلى الله هي سبيل العز والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

السادسة عشرة: أن في القيام بالدعوة إلى الله امتثال لأعظم أوامر الله، وهو : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

٥- الأسباب المعينة على القيام بالدعوة إلى الله عز وجل

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فمن عرف ربه حقًا آمن به، وكبره ومجده، وأحبه وحمده وشكره، ودعا إلى عبادته وحده لا شريك له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

الثاني: الإكثار من تلاوة القرآن الكريم، وتدبر ما فيه من دلائل الربوبية والألوهية والوحدانية، وما فيه من قصص الدعاة إلى الله من الأنبياء والمرسلين وغيرهم: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

الثالث: تكوين الأمة التي تقوم بالدعوة إلى الله في أنحاء الأرض، كما كوَّن النبي ﷺ الأمة من المهاجرين والأنصار في عهده، كما قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

فهذه الأمة رجالًا ونساءً نائبةً عن النبي ﷺ في إبلاغ الدين إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

الرابع: إحياء مهمة المسجد كما كان مسجد النبي ﷺ في المدينة، حيث كانت تُقام فيه حلقات الذكر، وحلقات التعليم، وتلاوة القرآن، واستقبال الجماعات الخارجة في سبيل الله، و توديع الجماعات، واستقبال الوفود، وغيرهم، فالدين لا يقوم أبدًا إلا بالهجرة والنصرة من أجل إعلاء كلمة الله، ونشر الحق في العالم، كما كان الصحابة في القرن الأول رضي الله عنهم: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

الخامس: قيام العلماء الربانيين بتذكير الأمة بمقصد حياتهم وهو الدعوة إلى الله، وأنهم نوّاب النبي ﷺ في أمته إلى يوم القيامة، وأن عليهم إبلاغ هذا الدين إلى جميع أهل الارض: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

السادس: لزوم البيئات الإيمانية الذاكرة التي تذكر بالله، ووجوب عبادته، والدعوة إليه، والانقطاع عن الأجواء الغافلة، ومجالس اللهو واللعب : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف/ ٢٨].

السابع: دعاء المؤمن ربه أن يرزقه حسن القيام بجهد النبي ﷺ ، ابتغاء وجه الله إلى أن يلقى ربه :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

الثامن: إدامة النظر في قصص الأنبياء والمرسلين للاقتداء بهم في توحيدهم وإيمانهم، وأخلاقهم ودعوتهم إلى الله، وتعليمهم شرع الله ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف/ ١١١].

التاسع: بذل النفس والمال والوقت من أجل إعلاء كلمة الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

العاشر: الاقتداء بالنبي ﷺ؛ فكما نصلي كصلاته، ونصوم كصيامه، كذلك نقوم بالدعوة إلى الله على طريقته: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل/ ١٢٥].

٦- عقوبات ترك الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله ﷻ من أعظم الأمانات التي فرضها الله على كل مسلم ومسلمة؛ فمن أدَّاها فاز بثوابها، ومن تركها نال عقوبة تركها .

ومن عقوبات ترك الدعوة إلى الله:

الأولى: الاستبدال، كما قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾[محمد/ ٣٨].

الثانية: اللعن والحرمان من رحمة الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾[المائدة/ ٧٨-٧٩].

وقال ﷻ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

الثالثة: العداوة والبغضاء، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾[المائدة:١٤].

الرابعة: الفرقة والخلاف، كما قال سبحانه:﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران/ ١٠٤- ١٠٥].

الخامسة: الخزي في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة:٨٥].

السادسة: التدمير والهلاك، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنعام/ ٤٤-٤٥].

السابعة: ترك الدعوة إلى الله سبب لنزول عقوبة الله على الأمة، كما قال النبي ﷺ :« إنَّ النَّاسَ إذا رأَوُا المنْكرَ فلم يغيِّروهُ أوشَكَ أن يعمَّهم اللهُ بعقابِه ». أخرجه أبو داود وابن ماجة[1].

الثامنة : عدم إجابة الدعاء:

قال النبي ﷺ: « والَّذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهَوُنَّ عن المنكرِ أو ليوشِكَنَّ اللهُ أنْ يبعثُ عليكم عذابًا منه ثمَّ تدعونه فلا يستجيبُ لكم». أخرجه الترمذي[2].

التاسعة: أن من قام بالدعوة إلى الله يُفهِّمه الله إشارات القرآن، ومن ترك الدعوة إلى الله يحرمه الله من فهم صريح القرآن، فيقرأ آيات الدعوة ولا

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٣٣٨)، وابن ماجة برقم (٤٠٠٥).
(٢) حسن / أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٩).

يفهمها، ولا يعمل بموجبها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

العاشرة: بسبب ترك الدعوة إلى الله يتسلّط الكفار على المسلمين، ويتحكمون في شؤونهم، ويمزقون جمعهم، وينهبون خيراتهم، ويذلُّونهم بقوتهم، ويتحكمون في طريقة حياتهم، كما هو حاصل في العالم الإسلامي الآن: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ [آل عمران: ١٠٤- ١٠٥] .

إن الدعوة إلى الله أفرض الفرائض، وأوجب الواجبات بعد الإيمان.

فبسبب الدعوة إلى الله يأتي المسلمون والمؤمنون، والصادقون والمحسنون، والمتقون، وغيرهم ممن يحبهم الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥ ﴾ [الأحزاب:٣٥] .

وجهد الدعوة إلى الله في زماننا هذا ينقسم إلى قسمين :

الأول: دعوة المسلمين ليرجعوا إلى حقيقة الإسلام، ليستقيموا على الدين، ويقوموا بجهد الدين، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

الثاني: دعوة الكفار ليدخلوا في الإسلام، ويعبدوا الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم/ ٥٢].

والحمد لله رب العالمين؛ فقد كشف الله لهذه الأمة الأدوية الشافية لأمراضها القلبية، والبدنية، والأخلاقية في كتابه العظيم، وسنة رسوله ﷺ، فسارع كثيرٌ من المسلمين والمسلمات إلى القيام بجهد الدعوة إلى الله، بين المسلمين حتى رجعوا إلى دينهم الحق، وقاموا بالدعوة إلى الله بين الكفار، فدخل الناس في الدين، وبدأ الكفار يدخلون في الدين في مشارق الأرض ومغاربها، فامتلأت بهم المساجد، وتوافدوا بكثرة ولله الحمد إلى بيت الله الحرام للحج والعمرة في مكة، وازدحم بهم مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، وازدحمت بهم المساجد ولله الحمد في أماكنهم، وقامت مجالس العلم والإيمان، والذكر والفقه في الحرمين الشريفين، وغيرهما من المساجد في مشارق الأرض ومغاربها: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾[الجاثية:٣٦-٣٧].

ومازال الدعاة إلى الله يقومون بفضل الله بالدعوة إلى الله بأموالهم وأنفسهم في كل مكان، وفي كل زمان، ويحيون سنة الهجرة والنصرة من أجل إقامة الدين، وإحياء الدين، وجهد الدين في العالم كله، كالمهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويبذلون أوقاتهم وأنفسهم وأموالهم في سبيل إعلاء كلمة الله، ويصبرون على كل ما يصيبهم من أذى في سبيل إبلاغ دين الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾[التوبة/ ١٠٠].

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي قَائِمَةً بأَمْرِ الله، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خذلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يأْتيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ». متفق عليه[1].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت .

اللهم اجعلنا من الدعاة إلى دينك في مشارق الأرض ومغاربها، على طريقة رسولك ﷺ .

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم أحي الدين كله، في العالم كله، على طريقة نبيك ﷺ، واجعلنا من أسباب ذلك يا أرحم الراحمين.

تم الفراغ بفضل الله من طباعة هذا الكتاب يوم السبت ٢٠ رجب ١٤٤٤هـ

* * * * *

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم في كتاب الإمارة برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ٦

الدواء الأول: تحقيق اليقين على شهادة أن لا إله إلا الله ٢٩

ويشتمل على المباحث الآتية:

١- بيان عظمة كلمة التوحيد" لا إله إلا الله" ٣٠

٢- حقيقة اليقين على كلمة التوحيد لا إله إلا الله ٣٢

٣- حقيقة المخلوق ٤٠

٤- كيف تستقر حقيقة "لا إله إلا الله" في القلب ٤٧

٥- أركان العبودية لله عز وجل ٦٥

الدواء الثاني: تحقيق اليقين على شهادة أن محمدًا رسول الله ٦٧

ويشتمل على المباحث الآتية:

١- فضائل النبي ﷺ ٦٨

٢- أقسام حياة النبي ﷺ ٧٣

الموضوع	الصفحة

٣- فقه شهادة أن محمداً رسول الله ٨٠

٤- مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ٨٢

٥- حقيقة اليقين على شهادة أن محمداً رسول الله ٩٣

٦- حقوق النبي ﷺ ٩٥

٧- نواقض شهادة أن محمداً رسول الله ٩٧

الدواء الثالث: إقامة حقيقة الصلاة ١٠١

ويشتمل على المباحث الآتية:

١- حكمة مشروعية الصلاة ١٠٢

٢- فضائل الصلاة ١٠٤

٣- مقاصد الصلاة ١٠٧

٤- فقه إقامة حقيقة الصلاة ١١٤

٥- كيف نصل إلى إقامة حقيقة الصلاة ١٣٢

الدواء الرابع: تعلم العلم الإلهي وتعليمه ابتغاء وجه الله عز وجل ١٣٥

ويشتمل على المباحث الآتية:

الموضوع	الصفحة

١- فضائل العلم الإلهي..... ١٣٦

٢- فقه العلم الإلهي..... ١٣٨

٣- وجوب اقتران العلم الإلهي بذكر الله عز وجل..... ١٤٤

٤- أقسام العلم الإلهي..... ١٤٩

٥- مقاصد العلم الإلهي..... ١٥٦

الدواء الخامس: التعبد لله بمكارم الأخلاق مع كل أحد..... ١٦٥

ويشتمل على المباحث الآتية:

١- فقه مكارم الأخلاق..... ١٦٦

٢- أقسام حسن الخلق..... ١٧٤

٣- فضائل مكارم الأخلاق..... ١٧٧

٤- الأسباب المعينة على اكتساب مكارم الأخلاق..... ١٧٩

٥- أصول الحياة الإسلامية..... ١٨٤

الدواء السادس: استحضار نية التعبد لله وحده في كل حال..... ١٩٥

ويشتمل على المباحث الآتية:

الموضوع	الصفحة

١- فقه الإخلاص ١٩٦

٢- فضائل الإخلاص ٢٠٥

٣- علامات أهل الإخلاص ٢٠٧

٤- ثمرات الإخلاص ٢١٢

٥- الأسباب المعينة على الإخلاص ٢١٦

٦- مفسدات الإخلاص ٢١٨

الدواء السابع: قيام الأمة قاطبة بالدعوة إلى الله تعالى ٢٢١

ويشتمل على المباحث الآتية:

١- فقه الدعوة إلى الله جل جلاله ٢٢٢

٢- فضائل الدعوة إلى الله جل جلاله ٢٢٩

٣- مقاصد الدعوة إلى الله جل جلاله ٣٣٢

٤- ثمرات الدعوة إلى الله جل جلاله ٢٤٠

٥- الأسباب المعينة على الدعوة إلى الله جل جلاله ٢٤٤

٦- عقوبات ترك الدعوة إلى الله جل جلاله ٢٤٦

فهرس الموضوعات ٢٥١